"إسهامات محمد تقي الدين الهلالي المغربي في الدراسات العربية والإسلامية: دراسة تحليلية"

بحث جامعي لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد مجاهد

تحت إشراف

الدكتور عبيد الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي، 110067، (الهند)

2015

“ Ishaamaatu Muhammad Taqi -ud-Din Al-Hilali Al-Maghribi fi Addirasaat al-Arabia wal-Islamia :Dirasa Tahlilia”

“Contribution of Muhammad Taqi -Ud- Din Al-Hilali Moroccan to Arabic & Islamic Studies: An Analytical study”

Dissertation submitted to The Jawaharlal Nehru University

in partial fulfillment of the requirements

for the award of the degree of

MASTER OF PHILOSPHY

By

MOHD MUJAHID

Under the supervision of

DR. UBAIDUR RAHMAN

CENTRE OF ARABIC AND AFRICAN STUDIES

SCHOOL OF LANGUAGES, LITERATURE AND CULTURE STUDIES

JAWAHARLAL NEHRU UNIVERSITY

NEW DELHI- 110067, INDIA

2015

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

DECARATION

21.07.2015

I declare that material in this dissertation entitled **"CONTRIBUTION OF MUHAMMAD TAQI-UD-DIN AL-HILALI MOROCCAN TO ARABIC & ISLAMIC STUDIES: AN ANALYTICAL STUDY"** Submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other university.

Mohd Mujahid

Mohd Mujahid

(Research Scholar)

Ubaidurrahman

SUPERVISOR

Dr. Ubaidur Rahman

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

CAAS/SLL&CS/JNU

Mujeebur Rahman

CHAIRPERSON

Prof. Mujeebur Rahman

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

CAAS/SLL&CS/JNU

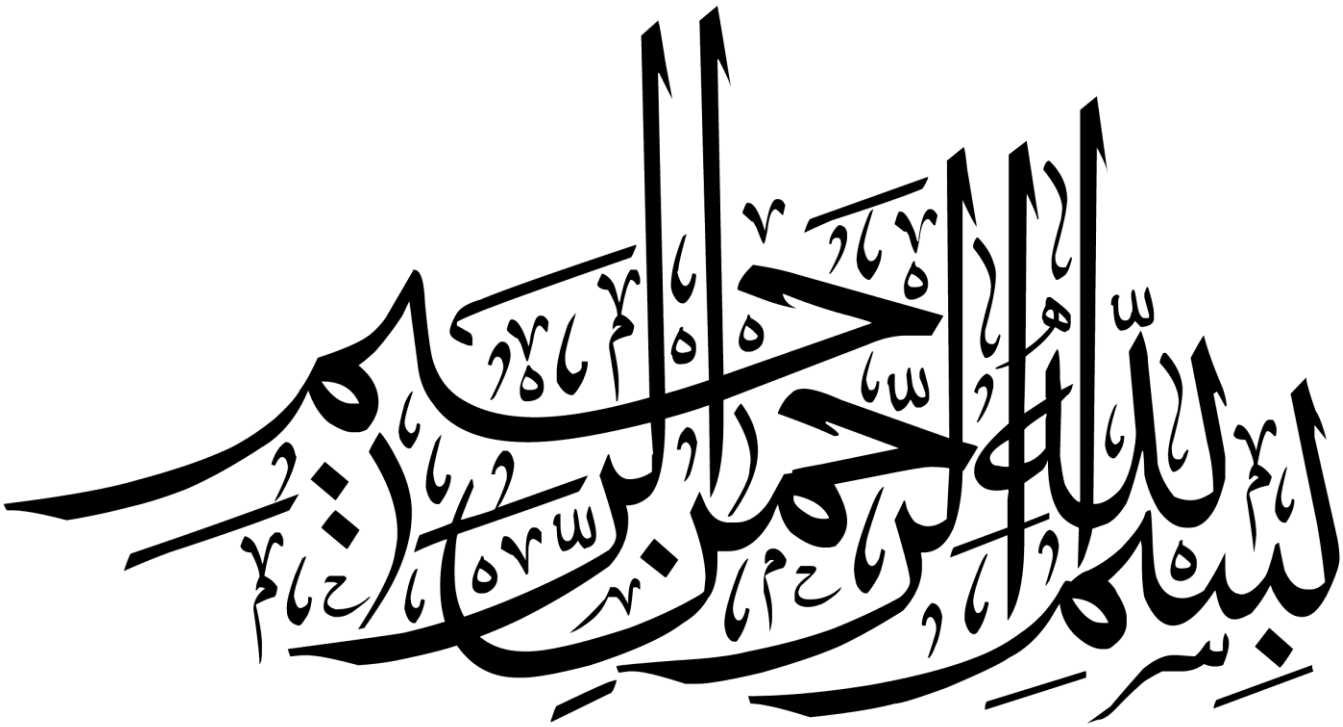
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

إلى

والدي الكريمين

"رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

المقدمة

أنجبت أرض المغرب كثيرًا من الكتاب والأدباء والشعراء الذين لهم إسهامات جليلة وأعمال قيمة فى الدراسات العربية والإسلامية، ونالوا مكانة مرموقة فى الأوساط الأدبية والعلمية والثقافية، وقاموا بخدمة الكتاب والسنة، وساهموا في تنشيط الحركة الإسلامية وبث الوعي الإسلامي في أرجاء العالم، وتطهير المجتمع من البدع والخرافات والعادات القبيحة الممقوتة، ولهم يد طولى فى إثراء الدراسات العربية والإسلامية ولا يستطيع أحد أن ينسى فضلهم وجدهم وجهدهم ولاحقا اتبع الناس آثار خطواتهم وسلكوا مسلكهم.

ومن بين هؤلاء الكتاب والأدباء والشعراء الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي (1893–1987)، فقد كان شاعرا وكاتبا ومترجما وخطيبا، وامتاز أدبه باطلاعه الواسع وثقافته الغزيرة إذ كان يتقن خمس لغات وهي العبرية، والألمانية، والإنجليزية، والأسبانية، بالإضافة إلى العربية، وبالجملة كان الشيخ بحرا في علوم كثيرة يبدو ذلك واضحا حال قراءة كتاباته.

وكذلك كان الشيخ الهلالي داعية كبيرا من الدعاة المخلصين لله عز وجل، وكانت حياته حافلة بالدعوة الإلهية التي انتقلت من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمته التي وصفها القرآن الكريم خير أمة بكونها آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر وآمنة بالله وحده في السراء والضراء، كما يقول الله عز وجل ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) [سورة آل عمران، الآية:110] وهذه هي الأمة التي اشتاق إليها الأنبياء من قبل، ودعوا لأن

يكونوا من أفراد هذه الأمة، فيجب على أفراد هذه الأمة الإسلامية أن يعرفوا مسؤوليتهم التي ألقيت على كواهلهم نحو الدعوة الإسلامية، هكذا يلزم عليهم أن يعرفوا عظمتهم وشرفهم ومنصبهم.

وكان للشيخ أثر عظيم في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، والدفاع عنها في بلاد المسلمين وغيرها مثل (المغرب- وهي مسقط رأسه-، وبلاد الحجاز، ومصر، والعراق، وأفغانستان، والهند، وألمانيا، وبريطانيا)، وإبراز مثل هذه الجهود العظيمة للناس مما يشحذ الهمم ويحفز على نشر الدعوة في أصقاع الأرض، بمؤلفاته الغزيرة في العقيدة، ورده على المخالفين لها بالبرهان الواضح القوي.

كما قام بتأليف كتاب "سبيل الرشاد في هدى خير العباد" في توحيد الربوبية والعبادة، وفي توحيد الاتباع (اتباع الكتاب والسنة)، وفي توحيد الأسماء والصفات، وهذا جهده العظيم المبارك في هذا المجال.

إن شخصية الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي كانت شخصية عبقرية فذة، وحياته كانت حافلة بالخدمات العلمية الجليلة، وكان من العلماء الكبار الذين تخصصوا في العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها، ولعبوا دورا بارزا في تطوير وإثراء المكتبات العلمية والخزائن الأدبية بأقلامهم السيالة وأفكارهم القيمة، ولكن حينما نطالع الكتب المؤلفة حول حياته وأعماله نجد أن الباحثين لم يقوموا بتقييم أعماله وآثاره وإبراز مزاياه وخصائصه ومكانته العلمية والأدبية، ولم يصرف أي من الباحثين - على حد علمي- عنايته إلى هذه الشخصية الفذة والأديب الأريب، ولم يسلط الضوء على حياته وأعماله في الدراسات العربية والإسلامية كما يليق مقامه، وهذا مما

تشدد على ضرورة إجراء بحث مفصل فيما ترك من التراث العلمي العظيم. ونظرا لأعماله الجمة في مختلف فنون الأدب العربي وشتى مجالات الدراسات الإسلامية اخترت الموضوع "إسهامات محمد تقي الدين الهلالي المغربي في الدراسات العربية والإسلامية : دراسة تحليلية" ليتمكن الجيل الناشئ من تقدير أعماله القيمة ويتخذه أسوة وقدوة له في التعليم والتربية.

وقسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب، ففي الباب الأول سوف أتحدث عن حياة الشيخ العامة، وألقي الضوء على أحوال أسرته وأولاده وجهوده في اكتساب العلوم والفنون، واشتغاله بالتعليم والتربية، وأذكر عددا من أساتذته الذين لهم دور ملموس في تكوين شخصيته، وفي الباب الثاني سوف أتحدث عن أعماله الشعرية، وبالتالي أتناول الموضوعات التي تناوله الشيخ في أشعاره. كما أذكر خصائص وميزات شعره في أصناف شتى، وفي الباب الثالث سوف أتحدث عن أعماله القيمة وخدماته وإسهاماته في الدراسات العربية والإسلامية من خلال كتابة المقالات والدعوات، وعن طريق التأليف والترجمة وغيرها من الخدمات من إلقاء المحاضرات والخطب. وفي النهاية سوف أقدم نتائج البحث تحت عنوان "الخاتمة" التي تلقي نظرة استعراضية على حياة الشيخ وخدماته الجليلة المذكورة في هذه الأطروحة. وفي النهاية ألحق قائمة لأهم المصادر والمراجع التي استعين بها واستفيد منها في إعداد هذا البحث.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني أن أكتب هذا البحث المتواضع حول شخصية إسلامية كبيرة. ثم أشكر والدي الكريمين إذ لهما فضل كبير في مواصلة دراستي العليا.

كما يطيب لي أن أقـدم كلمة الشكر والامتنان إلى مشرفي الدكتور عبيدالرحمن –حفظه الله تعالى ورعاه– فإنه نعم المشرف إحسانا، وتوجيها، ونصحا، وإكراما، فأسأل الله أن يبارك له في نفسه وماله وأولاده إنه خير مسؤول وأعظم مرجوا. وكذلك أقدم شكري وامتناني إلى جميع أساتذة القسم الذين يبذلون قصارى جهدهم في تعليم الطلبة وتوجيههم فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بكلمة الشكر إلى كل من ساعدني في إعداد هذا البحث من أهل وإخوان وأصدقاء، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وبارك الله فيهم.

وبعد: فهذا جهد المقل فإن أصبت فبفضل الله وحده وإن كانت الأخرى فمني والشيطان، واستغفر الله منه.

يا ناظرا فيه سد الخلا فجل من لا عيب فيه وعلا

والله أعلى وأعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث
محمد مجاهد
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي، 110067، (الهند)
2015/07/21م

الباب الأول

فضيلة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي؛ حياته العلمية والعملية

الفصل الأول: حياة الشيخ وأسرته وصفاته وأخلاقه

الفصل الثاني: اكتساب العلوم والفنون

الفصل الثالث: اشتغاله بالتعليم والتربية

الفصل الأول

حياة الشيخ و أسرته وصفاته وأخلاقه

مولده ونشأته:

هو العلامة المحدث، واللغوي الشهير، والأديب البارع، والشاعر الفحل، والرحالة المغربي، الشيخ الدكتور: محمد التقي المعروف بـ محمد تقي الدين، كنيته أبو شكيب (حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان) بن عبد القادر بن الطيب بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد النور بن عبد القادر بن هلال بن محمد بن هلال بن إدريس بن غالب بن محمد المكي بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن إدريس بن إسماعيل بن سليمان بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ الهلالي نفسه بخصوص تسميته: "إن والدي رأى في المنام قائلاً يقول له: سيولد لك غلام فسمه محمد التقي، فكان ذلك".[1]

ولكن أهل الهند سموني تقي الدين، فاشتهر اسمي بمحمد تقي الدين، وكنيتي أبو شكيب لأني سميت أول مولود لي شكيباً على اسم صديقي الأمير شكيب أرسلان

[1] علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ص 193

رحمه الله، وليس لي لقب، واسم والدي عبد القادر الهلالي نسبة إلى هلال وهو الجد الحادي عشر، ونسبتنا إلى الحسين بن علي، ذكر ذلك غير واحد من المؤلفين في أنساب أهل البيت من المغاربة، وأقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم بلادنا سجلماسة سنة (1311هـ).

ولد الشيخ سنة (1311هـ) بقرية "الفرخ"، وتسمى أيضا بـ "الفيضة القديمة" على بضعة أميال من الريصاني، وهي من بوادي مدينة سجلماسة المعروفة اليوم بتافيلالت الواقعة جنوبا بالمملكة المغربية. وقد ترعرع في أسرة علم وفقه، فقد كان والده وجده من فقهاء تلك البلاد.[1]

زواجه وأولاده وأحفاده

الشيخ تقي الدين الهلالي تزوج من تسع نسوة في كل مكان نزل به أو استقر فيه وتوفي رحمه الله عن ثلاث منهن. فتزوج عائشة بنت الشيخ محمد الأمين الشنقيطي العراقي البصرية وتزوج في ألمانيا ونال هناك شهادة الدكتوراه في تحقيق كتاب البيروني "الجماهر في الجواهر" ورد فيها على المستشرقين وأعجب به الألمان إعجابا شديدا، وفي تلك الفترة اندلعت الحرب العالمية الثانية، ففسح المجال، وقد أنشأت ألمانيا إذاعة لمحاربة فرنسا وإسبانيا فكان مسؤولا عن القسم العربي في مهاجمة فرنسا وإسبانيا من ألمانيا، فكان هو مسؤولا عن الإذاعة العربية. وفي ألمانيا تزوج من فاطمة فوكت سكيف ثم تزوج في الجزائر من يحياوي الكبيرة وتزوج أيضا من امرأة في السعودية وأخرى في المغرب وواحدة في العراق، وأولاده كثر له ابنة

[1] محمد علي الطاهر، خمسون عاما في القضايا العربية، ص:961

إسمها عائشة توجد بالقنيطرة بالمغرب، وهي زوجة تلميذه عبد الكبير البكري ولها ابنة، وأنها ناقشت رسالة الماجستير في الجزائر عن جدها والد أمها أي عن الشيخ الهلالي، وله ابنة إسمها صفية وكانت مديرة مدرسة في شرقية، وهي الآن في الرياض وله خولة وهي أستاذة في الأدب العربي درست في جامعة بغداد ولها دراسة مطبوعة في جزأين دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج. وأما أولاده الذكور فأكبرهم شكيب وهو من مواليد العراق سنة 1930م وهو الآن في الرياض على غالب الظن. وكذلك له ولد اسمه عبد المؤمن وهو من مواليد سنة 1940م كان مقيما في ألمانيا والآن مقيم في إسبانيا.

وفاة الشيخ

"في يوم الإثنين 25شوال (1407هـ)الموافق لـ22يونيو (1987م)أصيبت الأمة الإسلامية بفاجعة ومصيبة يصعب على القلم وصفها، وهي مصيبة وفاة الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله وذلك بمنزله في مدينة الدار البيضاء بالمغرب. وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون"[1].

وتحدث رجل ممن جالس الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله وزاره الشيخ في بيته وهو السيد عبد الإله الشرقاوي الرباطي (و هو مقيم بالمغرب حاليا) أن ابن عم الشيخ المعروف في المغرب بـ "الهلالي" حدثه بما يلي:

[1] www.alhilali.net

كان الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله في أواخر أيام حياته مريضا طريح الفراش وكان لا يستطيع أن يتوضأ فكان يتيمم؛ وكان رحمه الله لا يرى التيمم بالحجر بل يتيمم بالتراب إذ كان له بمنزله كيس يملؤه بالتراب لذلك الغرض، وإذا قيل له تيمم بالحجر قال لا هذا فعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–(يعني التيمم بالتراب). وذات يوم قال لأهل بيته إيتوني بوَضوء فقالوا له أنت لاتستطيع التوضؤ فتيمم، لكنه أصر على الوضوء فأتوه بوضوء. فتوضأ رحمه الله وصلى ركعتين واستلقى على الفراش وقال لمن كان ببيته من يجيد منكم قراءة القرآن، فقرأعليه أحدهم سورة يس وهو ينصت حتى أتمها؛ ثم قال له الشيخ رحمه الله أعد القراءة من قوله تعالى:

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّاخَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} [يس:77]

فأعاد القارئ القراءة إلى أن انتهى من قوله تعالى:

{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس:78]

فرفع الشيخ إصبعه إلى السماء (يعني وكأنه يقول: الله هو الذي يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ففاضت روحه من حينها، اللهم أدخله في جنات النعيم(آمين).

أفكاره وآراءه

"التزم الشيخ الهلالي بالمنهج السلفي وصار من دعاته النشطين، وكان متفتحاً غيرمتزمت ومجتهداً غيرمقلد، وقد أكسبته الأسفار الكثيرة إلى البلاد العربية والهند وسويسرا وألمانيا، ولقاؤه العلماء في العالم العربي والإسلامي، صفات العالم العامل والداعية الواعي، والمصلح الحكيم والمجاهد الصادق"[1].

وكان منهجه في التعليم والتربية، الحرص على دروس التوحيد، والالتزام بالأركان والعمل بالأصول، والبعد عن مواطن الخلاف في الفروع، والاستفادة مما لدى الغرب من تقدم علمي، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

تراجع الشيخ تقي الدين الهلالي عن الطريقة التجانية

شيخ التوحيد في بلاد المغرب والذي كان صوفيا (تجانيا) فأكرمه الله بدعوة التوحيد, يقول عن سبب خروجه من الطريقة التجانية: "لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الاسلام ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة،[2]"

وأما في العصر الحديث فإن التصوف على الرغم من انتشاره في غفلة من المسلمين عن علوم الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه وتعالى قيض للمسلمين الإمام

---

[1] شبكة الألوكة، د. خالد النجار

[2] الفكر الصوفي، للسيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص: 439

شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي كان لدعوته المباركة في الجزيرة العربية الفضل في إيقاظ الأمة من سباتها العميق، واطلاعها على حقيقة التصوف الضال فانتشرت دعوة التوحيد شرقاً وغرباً، وقام الرجال المخلصون بملاحقة فلول التصوف في كل صقع من أصقاع الأرض حتى انزاحت الغمة أو كادت بفضل الله ورحمته بعد أن كان الظلام والشر قد عم الأرض كلها إلا القليل القليل من أهل الدين الحق والتوحيد.

يقول الشيخ بلسان حاله عن العقائد التي كانت سائدة في بلاده:

"رأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق الصوفية لا تكاد تجد واحداً منهم لا عالماً ولا جاهلاً إلا وقد انخرط في سلك إحدى الطرق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق، يستغيث به في الشدائد ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائماً بشكره والثناء عليه فإن وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض فهو على كل شيء قدير، وسمعت الناس يقولون: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه. وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخاً عارف ** المسالك يقيه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه ** ويوصل العبد إلى مولاه"[1]

[1] الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، للشيخ الهلالي ص 7

رأى الشيخ الهلالي الطرق المنتشرة في بلاده قسمين:

1- قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم

2- وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس

فمالت نفسه إلى القسم الأول، وسمع أباه وهو من علماء بلده مراراً يقول: لولا أن الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيارة قبور الأولياء والاستمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإلا قبر الشيخ التجاني، وقبور من ينتمي إلى طريقته من الأولياء، قال أبوه: "لولا ذلك لأخذت ورد الطريقة التجانية، لأني لا أستطيع أن أترك زيارة جدنا عبدالقادر بن هلال، وجدنا كان مشهوراً بالصلاح وله قبر يزار وهو معدود من جملة الأولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي في بلاد المغرب"[1].

والطريقة التجانية، والدرقاوية، والكتانية، وإن كان أهلها في بلاده قليلاً، تؤلف القسم الأول، فاشتاقت نفسه إلى أخذ ورد الطريقة التجانية وهو قد ناهز البلوغ فذهب إلى المقدم وقال له: يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية، ففرح كثيراً، وقال لي: تأخذ الورد على صغر سنك؟ قال: نعم، فقال: بخ بخ أفلحت ونجحت، فأعطاه الورد وهو ذكرُ لا إله إلا الله مائة مرة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بأي صيغة مائة مرة، لكن صيغة الفاتح لما أغلق هي أفضل الصيغ، وأعطاه كذلك الوظيفة وهي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة،

[1] الهدية الهادية ، للشيخ الهلالي ص 7

وجوهره الكمال وهي: «اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية.. الخ»، وسيأتي ذكر ألفاظها اثنتي عشر مرة، وهذه الصلاة لا تذكر إلا بطهارة مائية، فمن كان فرضه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة، قال: وإنما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها.

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة، ويكون الذاكر جالساً كجلسة التشهد على الأفضل مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التجاني وهو رجل أبيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء، ويتصور في قلبه أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد.

أما الوظيفة فيجب أن تذكر جماعة بصوت واحد، إن كان للمريد إخوان في بلده، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز له أن يذكرها وحده مرة في كل يوم.

وأخبره المقدم الشيخ عبدالكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد، واستمر على ذكر الورد والوظيفة بإخلاص ملتزماً الشروط مدة تسع سنين، وهناك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو: "لا إله إلا الله" ألف مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعاً: الله حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم إلى لفظ آه، آه، آه، ويسمون هذه الحالة العمارة، وقد تركوها منذ زمان طويل لأن أبناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة، وهم يأتون من الجزائر إلى المغرب وقد أشاروا

على المغاربة أن يتركوا العمارة لأنهم لا يستحسنونها، ولكن في كتب الطريقة أنها فعلت أمام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه وإقراره.

وكان كلما أصابت الشيخ الهلالي مصيبة يستغيث بالشيخ فلا يغيثه، فمن ذلك أنه كان في الجزائر مسافراً من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب إلى (المشرية)، وكان له رفيق له جمل فعلقه وأوصاه بحراسته وتركه في خيمة من خيام أهل البادية، فانحل عقال الجمل وانطلق في البرية فتبعه فأخذ يستهزئ به، وذلك أنه يبقى وقفاً إلى أن يكاد يضع يده على عنقه ثم يجفل مرج واحدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظره إلى أن يكاد يقبضه ثم يهرب مرة أخرى وذلك في نحر الظهيرة وشدة الحر، فرأى من المناسب أن يستغيث بالشيخ كما هو يقول:

"هذا وقت الاستغاثة بالشيخ فتضرعت إليه وبالغت في الاستغاثة أن يمكنني في قبض الجمل وإناخته فلم يستجب، فعدت على نفسي باللوم واتهمتها بعدم الإخلاص والتقصير في خدمة الطريقة ولم أتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي، ومع أن شيوخ الطريقة يوصون المريد ألا يطالع شيئاً من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب (الإحياء) للغزالي فطالعته فأثر في نفسي واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد، فبينما أنا ذات ليلة أصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي كنت جالساً فيها يكاد رأسي يمس سقفها إذ رأيت غماماً أبيض سد الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلى السماء وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتياً من جهة الشرق –وهي قبلة المصلي في المغرب والجزائر– حتى وقف بعيداً مني وخرج منه شخص وتقدم حتى قرب مني ثم شرع يصلي

بصلاتي مؤتماً بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة، ولم أستطع أن أميز وجهه بسبب الظلام"[1].

ولما شرع يصلي مع الشيخ الهلالي كان يقرأ في سورة ألم السجدة ففزع وخاف خوفاً شديداً، كما هو يصف: "فخرجت منها إلى سورة أخرى أظنها سورة سبأ، ولم أستطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي أصابني، فتركت السور الطوال وأخذت أقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها إلى استحضار فكر"[2].

فصلى معي ست ركعات، ولم أرد أن أكلمه، لأن كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتى يصل إلى الله، وتتكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش، ولا يبقى شيء من المغيبات خافياً عليه، ولما طال علي زمان الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة السادسة فقلت: يا رب إن كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني، وإن لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلم هو أيضاً، ولم أسمع له صوتاً ولكني رأيته التفت عند السلام إلى جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية، فإنه يسلم مرة واحدة عن يمينه، السلام عليكم دون أن يضيف إليها رحمة الله وبركاته، وإن كان مؤتماً بإمام يسلم ثلاث تسليمات إن كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل وتسليمة أمامه للإمام، وتسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله وقد ثبت في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحافظ أن النبي –صلى الله عليه وسلم–كان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله

[1] الهدية الهادية ، للشيخ الهلالي ص 12

[2] الهدية الهادية ، للشيخ الهلالي ص 9

وبركاته وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً.

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الأبيض الذي كان قائماً في مكانه الذي كان ينتظره، وبعد دخوله في الغمام فوراً أخذ الغمام يتقهقر إلى جهة الشرق حتى اختفى عن بصري وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الأخلاق وسأذكره فيما بعد، فسافرت إليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي: يمكن أن يكون ذلك شيطاناً لو كان ملكاً ما أصابك فزع ولا رعب، فظهر لي أن رأيه صواب.

وبعد ذلك بزمن طويل أخذ الشيخ الهلالي يدرس علم الحديث، فرأى كتاب (صحيح البخاري) ما وقع للنبي –صلى الله عليه وسلم– حين جاءه جبريل وهو في غار حراء، فظهر له أن رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح وبقيت المشكلة بلا حل.

وبعد ذلك بأيام رأى الشيخ الهلالي المنام وكماهو يحكي:

"رأيت في المنام رجلاً نبهني وأشار إلى الأفق فقال لي: انظر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي إن الأوسط منهم هو النبي –صلى الله عليه وسلم– فذهبت إليه فلما وصلت إليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده وقلت يا رسول الله خذ بيدي إلى الله فقال لي اقرأ العلم ففكرت وعلمت أني في بلاد الجزائر وكان الفرنسيون مسؤولين عليها وكان فقهاء بلدنا يكفرون كل من سافر إلى الجزائر وإذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الإسلام من جديد ويعقدون له عقداً جديداً على

زوجته، فقلت في نفسي هذا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يأمرني بطلب العلم، وأنا في بلاد يحكمها النصارى، فإما أن أكون عاصياً أو كافراً فكيف يجوز لي أن أطلب فيها العلم. هذا كله وقع في لحظة وأنا لا أزال واقفاً أمام النبي –صلى الله عليه وسلم–فقلت في بلاد المسلمين أم في بلاد النصارى، فقال لي: البلاد كلها لله، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يختم لي بالإيمان فرفع اصبعه السبابة إلى السماء وقال لي: عند الله"[1].

رأى المنام مرة أخرى بعدما خرج من الطريقة التيجانية كما يكتب في كتابه "الهدية الهادية":

"رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– مرة أخرى في المنام على صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة، ففي الأولى كان طويلاً أبيض نحيفاً مشرباً بحمرة، لحيته بيضاء، أما في هذه المرة فكان ربعة من الرجال إلى الطول أقرب ولم يكن نحيفاً، ولحيته سوداء، وبياض وجهه وحمرته أقرب إلى ألوان العرب من المرة الأولى، وكانت رؤيتي له في فلاة من الأرض وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسوس نفسي أحياناً بما في كتاب جواهر المعاني مما ينسب إلى الشيخ التجاني أنه قال: (من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية فلا خوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أياً كان من الأحياء أو من الأموات أما من أخذ وردنا وتركه فإنه يحل به البلاء وأخرى ولا يموت إلا كافراً قطعاً وبذلك أخبرني سيد الوجود –صلى الله عليه

[1] الهدية الهادية، للشيخ الهلالي ص 11

وسلم–يقظة ومناماً) وقال لي سيد الوجود –صلى الله عليه وسلم– فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأنا مربيهم"[1].

و يضيف الشيخ الهلالي كاتبا: "فكنت أدفع هذا الوسواس بأدلة الكتاب والسنة، وأرجم شيطانه بأحجارها فيخنس ثم يخسأ ويدبر فاراً منهزماً فلما رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم–في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على أن أبدأ الكلام مع النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن أسأله أن يدعو الله لي أن يختم لي بالإيمان، وأظن القارئ لم ينس أني سألته في المرة الأولى فلم يدع لي ولكنه رفع إصبعه السبابة إلى السماء وقال عند الله، فقلت يا رسول الله، ادع الله أن يختم لي بالإيمان، فقال لي ادع أنت وأنا أؤمن على دعائك، فرفعت يدي وقلت اللهم اختم لي بالإيمان، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– آمين وكان رافعاً يديه، فزال عني ذلك الوسواس ولكني لم آمن مكر الله تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، والرؤيا تبشر ولا تغر، وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–أن يختم الله لي بالإيمان بتأمينه على دعائي والرؤيا التي قدمت ذكرها ولم يدع لي فيها، عشرون سنة، وتأولت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا الأولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة وبما صرت إليه من توحيد الله تعالى واتباع سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والله أعلم"[2].

---

[1] نفس المصدر ص 11

[2] الهدية الهادية، للشيخ الهلالي ص 12

خروج الشيخ من الطريقة التجانية

يقول الشيخ عن سبب خروجه من الطريقة التجانية:

" لقد كنت في غمرة عظيمة، وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الإسلام. ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة، وكان الشيخ عبدالحي الكتاني عدواً للطريقة التجانية لأنه كان شيخاً رسمياً للطريقة الكتانية، وإنما قلت رسمياً لأن أهل (سلا) أعني الكتانيين أنصار الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، مؤسس الطريقة الكتانية، لا يعترفون به أي بالشيخ عبد الحي ويقولون إن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضاً، والذي حدثني بذلك هو العالم الأديب النبيل الشيخ عبدالله بن سعيد السلوي فإنه كان حامل لواء نصرة الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، وكان يعادي أخاه عبدالحي عداوة شديدة ويرميه بالعظائم والكبائر التي لا يسوغ ذكرها هنا والاستطراد بذكر أسباب العداوة بين الشيخين الكتانيين الأخوين يخرج بنا عن الموضوع.

أقول مر بنا الشيخ عبد الحي في (وجدة) وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سكيرج، قاضي القضاة بناحية (وجدة)، معلماً لولده الأديب السيد عبدالكريم وابن أخيه السيد عبدالسلام، كنت أعلمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سكيرج، فمدحت عبدالحي بقصيدة ضاعت مني ولا أذكر شيئاً منها، ولكنه أعجب بها أيما إعجاب، حتى قال لي عاهدني أنك إذا قدمت (فاساً) تنزل عندي ضيفاً فعاهدته على ذلك. ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت إلى فاس ونزلت عنده.

وولد له في تلك الأيام ولد سماه عبدالأحد فالتمس مني نظم أبيات في التهنئة وتاريخ مولده فنظمتها ولا أذكر منها شيئاً، وفي اليوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا لها خلقاً كثيراً وبعد ما أكلوا وشربوا قاموا (للعمارة) – ذكر بالرقص والتمايل – التي تقدم ذكرها ودعوني أشاركهم في باطلهم فامتنعت لأن من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع طريقة أخرى ذكرهم وألا يرقص معهم.

وفي كتاب البغية للشيخ العربي ابن السايح وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي حكاية في وعيد شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق الأخرى في أورادهم وأذكارهم وحاصلها أن شخصاً تجانياً ذهب إلى زاوية طريقة أخرى لغرض دنيوي فاستحى أن يبقى منفرداً عنه وهم يذكرون وظيفتهم فشاركهم في الذكر فلما فتح فاه ليذكر معهم أصابه الشلل في فكيه فبقي فاه مفغوراً ولم يستطع سده حتى مات.

ولكن الجماعة ألحوا علي وجروني جراً حتى أوقفوني في حلقتهم فرأيت أفواهاً مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء، وبعضها فيه لحية خطها الشيب، وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد، أما حلق اللحى فلم يكن موجوداً في ذلك الزمن إلا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جداً من حواشيهم وسمعت أصواتاً تنبعث من تلك الأفواه ليس لها معنى في أي لغة بعضها آ آ آ وبعضها آه آه آه، وبعضها أح أح فاستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي إن الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعي أو الفرزدق حين طلق نوار فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما عدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وقلت في نفسي كيف يسوغ لي أن أنكر شيئاً حضر مثله خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني فتبت من ذلك الخاطر ولكن جاءني امتحان آخر وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقداً: إن الطريقة التجانية مبنية على شفا جرف، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها فقلت له: (والطريقة الكتانية التي أنت شيخها)؟ فقال لي كل الطرائق باطلة، وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم، فقلت إذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم، قال: أنا لم أؤسس الطريقة وإنما أسسها غيري، وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقتها في مصالح لا ينفقونها هم فيها.

ثم قلت له: ومن الذي حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها؟ قال لي: ادعاء كل من الشيخين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها وهذه قلة حياء منهما، وعدم تعظيم للنبي –صلى الله عليه وسلم–كيف تكلفونه أن يخرج من قبره ويقطع هذه المسافات من البر والبحر ليجلس أمامكم فأنتم تبسطون له ثوباً أبيض ليجلس عليه وأصحابنا يقومون ويذهبون إلى الباب ليتلقوه، فقلت: إذاً أنت لا تعتقد صحة طريقك؟ فقال: لا أعتقدها أبداً وقد أخبرتك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل. وأزيدك على ذلك اعتماد طريقتكم على كتاب (جواهر المعاني) الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه على علي حرازم نصفه مسروق، فأحد المجلدين وهو الأول مسروق بالحرف وهو تأليف لمحمد عبدالله المدفون بكذا وكذا بفاس، وسمى ناحية نسيتها الآن، قال وأنا قابلت الكتابين

من أولهما إلى آخرهما فوجدت المجلد الأول من (جواهر المعاني) مسروقاً كله من كلام الشيخ المذكور ففارقته.

وبعد أيام كنت جالساً عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي: هل اجتمعت بالأستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي، فقلت:لا، فقال لي: هذا الرجل من أفضل علماء فاس وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس وأثنى عليه بالعلم والأدب فقلت له أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته فقال لي: إن طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس وبذلك يتسع علمه وأدبه ولا يجب عليه أن يقلدهم في كل ما يدعون، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر، وإن لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير.

فذهبت إليه لأجتمع به، وكان قاضياً في محكمة فاس الجديدة فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها إلا شطر البيت الرابع وهو (وهذا مدى قصدي ..وما أنا مستجد).. أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية فهي غاية قصدي وإن اعتبرنا ما موصولة يكون المعنى والذي أستجديه أي أطلبه وإن اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنى ولست مستجدياً أي طالباً مالاً، فلما خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت على باب المحكمة ولجامها بيد خادمه تقدمت إليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات فلما قرأها رحب بي، وقال لطالب كان يرافقني وهو الحاج محمد بن الشيخ الأراري: أنت تعرف بيتنا، فقال: نعم، قال: فأتى به على الساعة التاسعة صباحاً، فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشراطين، وكان يسكن فيها

على الساعة الثامنة والنصف، لنصل إلى الشيخ على الساعة التاسعة، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهو عيد عند المغاربة وكثير من البلدان الإسلامية وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) أتباع الشيخ بن عيسى المكناسي، وهؤلاء لهم موسم في كل سنة يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ويأتون من جميع أنحاء المغرب، فيضربون طبولهم ومزاميرهم، ويترنمون بأناشيدهم إلى أن يظهر للناس أنهم أصيبوا بالجنون وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون زكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيئاً والدم يسيل منه وقد ملأوا أزقة فاس وهي ضيقة في ذلك الزمن، وحتى في هذا الزمن، فلم نستطع أن نصل إلى بيت الشيخ إلا بعد مضي ساعتين ونصف من شدة الزحام فلما وصلنا وأخبرنا بوابه، ذهب ثم رجع إلينا وقال: إنكما لم تجيئا في الموعد المضروب والشيخ مشغول عنده حكام فرنسيون فارجعا إليه بعد صلاة العصر فرجعنا وقلت لصاحبي: لا نرجع إليه فقد كفانا الله شر لقائه لأنه مبغض لشيخنا وطريقته فالخير في ما اختاره الله تعالى. فقال لي ليس الشيخ بملوم وقد اعتذر بعذر قائم والصواب أن نرجع إليه، فرجعنا إليه بعد العصر، ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة والإكرام والتواضع ما لم أجده عند الشيخ الكتاني ولا عند أحد من علماء فاس.

وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي. ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط. ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي: أين تذهب، أنت غريب في هذا البلد وهذا المكان معد للضيوف لا نحتاج إليه فامكث، وبت هنا؛ وقبلت دعوته، وبعد أن صلينا المغرب جاء أصحابه، أذكر منهم الشيخ عبدالسلام الصرغيني، والشيخ المهدي العلوي، وهو لا يزال قيد الحياة؛

أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب الشطرنج وهو يراهم ولا ينكر عليهم فقلت في نفسي هذا دليل على أنه من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فهو جدير أن ينكر على أولياء الله ما خصهم الله به من كرامة.

ثم تركوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريق الكتانية ويستهزئون بها ويسخرون من أهلها وكل منهم يحكي حكاية. فقال الشيخ عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم؛ جاءني شاب كان متمسكاً بالطريقة الكتانية تمسكاً عظيماً فقال لي: أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة، فقلت له: وما الذي دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطاً بها. فقال لي: إنه أمس شرب الخمر وزنا وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه، فهمّ أن يدخل الزاوية، ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شيئاً من الصلوات في ذلك النهار، إلا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ محمد بن عبدالكبير في صدر الحلقة، والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص، وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه وقال (رأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– قبلك فاقتديت به)! قال ولما دعاني خفت خوفاً شديداً وظننت أنه انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي، فلما قال لي، أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو إليه وإلا كيف يرضى عني النبي – صلى الله عليه وسلم– ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم. قال: فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلى الله من الطرائق كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة.

ولما رأيتهم يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها أصابني خوف شديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت لنفسي هذا الذي كنت أخافه وقد وقعت فيه فكيف الخلاص؟

وذكرت قول التجاني ابن بابا في منيته:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك

وضل في مهامه وفي حلك

وشدد النهى لنا الرسول في ذاك فلتعمل بما أقول

والشيخ قال هو سم يسري يحل من فعله في خسر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال: قال لي سيد الوجود –صلى الله عليه وسلم– يقظة لا مناماً، قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فإن ذلك يؤذيني فصممت على أن أخرج من ذلك المجلس.

فقمت فقال لي الشيخ إلى أين؟ فقلت: إلى بيت الخلاء، كذبت عليه، فلما وصلت إلى الباب منعني البواب من الخروج، وقال لي: وهل أذن لك الشيخ في الخروج، فقلت: نعم، فقال لي: هذا محال لأنك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلاً فيه خطر، فإنك لا تمشي خطوات حتى يقبضوا عليك وتؤخذ إلى السجن، وتبقى فيه إلى ضحى الغد وحينئذ ينظر في إطلاق سراحك. وقال لي: أنا لا أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ، فقلت له: إذا أرجع. ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخف حالي عن الشيخ فقال لي أراك

منقبضاً؛ فما سبب انقباضك؟ فقلت سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه طعن في شيخي وطريقته.

فقال لي: لا بأس عليك، أنا أيضاً كنت تجانياً وخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فعليك ألا تسمع بعد الآن في مجلس انتقاداً لها أو طعناً فيها"[1].

[1] الهديةالهادية،للشيخ الهلالي ص/من 13 إلى 16

الفصل الثاني

اكتساب العلوم والفنون

قرأ القرآن على والده وحفظه وهو ابن اثنتي عشر سنة ثم جوده على الشيخ المقرئ أحمد بن صالح، ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، وكان من أفضل العلماء في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق، فبدأ يحفظ مختصر خليل وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي إلى أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه.

يقول الشيخ الهلالي عن تلك الفترة: "قرأت القرآن على والدي وجدي فحفظته وأنا ابن اثنتي عشرة سنة. وكان والدي ينوي أن يبعثني إلى مجود الوقت الشيخ أحمد بن الصالح لأقرأ عليه ختمة بالتجويد، فعاجلته المنية، فقامت بذلك أمي، فقرأت على الشيخ المذكور القرآن من أوله إلى آخره بالتجويد، فكنت أكتب كل يوم ربع جزء في لوح من حفظي، وأدفعه إليه يصححه على حسب رسم المصحف العثماني، ثم يقرؤه هو وأنا أسمع، وبعد ذلك أقرؤه أنا وهو يسمع، وإن أخطأت يصحح لي خطأي"[1].

ثم بقي الشيخ الهلالي فترة بدون تعلم إلى أن سافر إلى الجزائر طلباً للرزق سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف. فرأى النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام رؤيا كأنها يقظة، وكان قد أخذ الطريقة التيجانية، ولم يكن يخطر بباله طلب العلم بل كان يسعى للحصول على علم الباطن بالاجتهاد في العبادة على طريقة المتصوفة،

[1] علماء و مفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ص 194

فلما رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام وكان طويلاً أبيض اللحية، وذلك يدل على نقص في الرائي، وضع يده في يده، ويظن أنه قبلها، وقال: يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي إلى الله. فقال له وهو منقبض: اقرأ العلم. فقال: العلم الظاهر أم العلم الباطن؟ فقال له: العلم الظاهر. فقال: في بلاد المسلمين أم في بلاد النصارى؟ وكان علماء بلد الشيخ يكفرون كل من يسافر إلى الجزائر، لأن الفرنسيين كانوا يحكمونها، فقال له: البلاد كلها لله. فقال: يا رسول الله ادع الله أن يختم له بالإيمان. فرفع إصبعه المسبحة إلى السماء، وقال له: عند الله.

فقصد الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي –رحمه الله– وقص عليه رؤياه، واستشاره في الرحلة في طلب العلم إلى أحد مراكزه في المغرب وتونس والجزائر. وكانت له مدرسة يعلم فيها الطلبة مبادئ العلم ويكسوهم ويطعمهم على طريقة العلماء في شنقيط. فمن تواضعه وكرمه وحلمه قال له: امكث عندنا حتى تحصل هذا الذي عندنا من مبادئ العلم، وحينئذ تسافر إلى إحدى المدارس العليا.

وكانت استشارة الهلالي له في الرحيل إلى إحدى المدارس الكبرى، وعدم قناعته بمدرسته، من الجهل وسوء الأدب، فبقي معه في البادية، ومدرسته خيمة بقرب خيمته التي يسكن فيها بأهله، بقي الهلالي على ذلك سنتين ثم انتقل بمدرسته إلى مدينته المشربة فبقي معه خمس سنين أخرى، ولم ير مثله في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق، إلا شيخاً آخر في الهند، ومناقبه كثيرة لا يتسع لها المقام، وهو من قبيلة (تندغ) مشهورة في قبائل شنقيط، توفي بالمشربة من عمالة وهران من الجزائر حوالي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هـ.

وبعد وفاة شيخه توجه لطلب العلم على علماء وجدة وفاس آنذاك. وكان من شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم الشيخ الفاطمي الشراوي، والشيخ العالم المحقق غرة زمانه "محمدالعربي العلوي" الذي قال فيه الشيخ الهلالي: "أستاذي الذي أنقذني الله على يده من طريقة التيجانية والشرك وعبادة القبور.[1]"، والشيخ أحمد سوكيرج... إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين.

رحلته إلى القاهرة

ثم سافر إلى القاهرة ليبحث عن سنة المصطفى –صلى الله عليه وسلم–، فالتقى ببعض المشايخ أمثال الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ رشيد رضا والشيخ محمد الرمالي وغيرهم، كما حضر دروس القسم العالي بالأزهر، ومكث بمصر نحو سنة واحدة يدعو إلى عقيدة السلف ويحارب الشرك والإلحاد.

يقول الشيخ الهلالي: "وحضرت دروس القسم العالي من الأزهر، وقال لي أحد كبار أساتذة الأزهر، وهو الشيخ الزنكلوني، قال: لا تطلب علم الحديث في مصر، فنحن معشر كبار علماء الأزهر لا أحد منا يحفظ عشرة أحاديث ولا نعرف صحيحاً من ضعيف، وإنما نقرأ سواداً في بياض مقلدين للمؤلفين.

ورأيت كتاب (عون المعبود شرح سنن أبي داود) ألف وطبع في الهند، فظهر لي أنه لا تزال بقية من علماء الحديث في الهند، فعزمت على السفر إلى الهند، وفي أثناء السنة التي أقمتها في مصر خرجت إلى الصعيد بقصد تحصيل شيء من

[1] علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ص 195

المساعدة المالية لأستعين بها على التوجه للحج، وكان التيجانيون في الجزائر قد بعثوا إليّ بحوالة مالية ظناً منهم أنني لا أزال على عقيدتهم. فكتبت إليهم كتاباً مطولاً شكرتهم فيه على إحسانهم السابق واللاحق، وأقمت لهم البراهين على أن الطريقة التيجانية لا يمكن أن تجتمع في قلب إنسان مع ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–، فغضبوا غضباً شديداً.

فأشار علي بعض الأصدقاء بالخروج إلى الصعيد للغرض المذكور، فلما وصلت إلى مدينة ملاوي بمديرية أسيوط دعاني إلى قرية تسمى الريرمون، رئيس السلفيين الشيخ إسماعيل الصيفي –رحمة الله عليه– وكان عدد السلفيين قليلاً جداً. وكان شيخ البلد والوجهاء والأعيان وسائر أهل القرية يسمونهم (وهابية)، ويعادونهم. فشرعت في إلقاء دروس الوعظ في بيت الشيخ إسماعيل، ومسجد السلفيين، فاستجاب إلى دعوتي شيخ البلد يوسف، وتبعه أهل البلد كلهم، ولم يبق على البدعة والشرك إلا شيخ الطريقة والعمدة (المرفوت) أي المعزول وخدامهما.

ولما رأيت الناس قد أقبلوا على التمسك بالسنة إقبالاً عظيماً تركت الغرض الذي من أجله توجهت إلى الصعيد وأظهرت الغنى لعلمي أن إظهار الحاجة إلى ما في أيدي الناس يفسد الدعوة أو ينقصها. وبقيت عندهم ثلاثة أشهر حتى قرب وقت الحج، ولم يتجرأ أحد منهم أن يقدم لي شيئاً من المال إلا الشيخ يوسف، فإنه ألح كثيراً في إهداء شيء من الثياب، فقبلته. ولما رجعت إلى القاهرة بعثوا إلي حوالة قدرها ثلاثة عشر جنيهاً، فسافرت بها إلى الحج".[1]

[1] علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ص 196-197

رحلته إلى الهند

وبعد أن حج توجه إلى الهند لينال بغيته من علم الحديث فالتقى علماء أجلاء هناك فأفاد واستفاد؛ ومن أجل العلماءالذين التقى بهم هناك المحدث العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري صاحب "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي" وأخذ عنه من علم الحديث وأجازه، وقد قرّظه بقصيدة يُهيب فيها بطلاب العلم إلى التمسك بالحديث والاستفادة من الشرح المذكور، وقد طبعت تلك القصيدة في الجزء الرابع من الطبعة الهندية؛ كما أقام عند الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني نزيل الهند آنذاك وقرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأجازه أيضا.

رحلته إلى الزبير

ومن الهند توجه إلى "الزبير" بالبصرة في العراق، حيث التقى العالم الموريتاني السلفي المحقق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر صاحب "أضواء البيان" فتزوج ابنته واستفاد من علمه، ومكث بالعراق نحو ثلاث سنين.

من شيوخه رحمه الله:

- الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري

- الشيخ محمد العربي العلوي
- الشيخ الفاطمي الشرادي
- الشيخ أحمد سكيرج
- الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (غير صاحب "أضواء البيان")
- الشيخ رشيد رضا
- الشيخ محمد بن إبراهيم
- بعض علماء القرويين
- بعض علماء الأزهر

الرجال الأكثر تأثيراً في حياته

خلال أسفاره إلى مختلف البلاد استفاد الشيخ الهلالي من كثير من العلماء الأجلة بذلك الوقت إلا أن بعضا منهم أثروا تأثيرا كبيرا في بناء شخصيته وتزويده بالعلوم والمعارف وقد ذكر أولئك الذين على أيديهم صحّح مسيرته في طلب العلم الحق،:

"إن أولهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إن صحت الرؤيا، وأظنها إن شاء الله صحيحة. والثاني محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي. والثالث

محمد بن العربي العلوي المدغري المغربي. والرابع الشيخ الفاطمي الشراوي. والخامس السيد محمد رشيد رضا. والسادس الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري مؤلف (تحفة الأحوذي)"[1].

أحب العلوم إليه

يذكر الشيخ ما يؤثره من علومه فيقول:" أحبها إليّ علوم الحديث وعلوم القرآن لأني أحب اتباع الكتاب والسنة، وأكره مخالفتهما، ثم علم النحو وسائر علوم الأدب، ثم علم اللغات، ولا أعرف علة ذلك.

ولعل مرد هذا فيما نرى إلى صلة هذه العلوم بالنفس الإنسانية. فالنحو والأدب واللغات صور متعددة لأصول واحدة، فبالنحو نعرف أسرار العلائق بين الألفاظ في التركيب، وبين التركيب والمضمون النفسي، وليس الأدب وعلم اللغات عن ذلك ببعيد، لأن الباحث لا يستطيع رصد التطورات الطوارئ عليهما إلا من خلال الواقع النفسي لصائغي هذا التراث أفراداً وشعوباً.

أما الصلة بين هذه الفنون وعلمي القرآن والحديث، فعلى غاية من التواثق، إذ لا سبيل لأحد إلى تذوق النظم القرآني، واستشراف دقائق الوحي في الكتاب والسنة إذا لم يكن على زاد وفير من الإدراك والتذوق لهذه الفنون"[2].

---

[1] علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ص:201

[2] علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ص:201

واجب العلماء نحو الجيل

وعن مسئولية أهل العلم تجاه هذا الجيل يقول الشيخ الهلالي:

"إذا وجد جماعة من العلماء المخلصين المستعدين لحمل ما عسى أن يصيبهم من الأذى كالضرب والسجن والنفي زيادة على السب والشتم وعداوة الناس –وقد لا يصيبهم شيء من ذلك – فإنهم يستطيعون أن يجذبوا كثيراً من الناس إلى الإسلام الصحيح، ولا تستطيع الدعوات المعادية للإسلام أن تقف في طريقهم، ولا أن تعوق تقدمهم إلى بلوغ غايتهم المنشودة"[1].

[1] علماء ومفكرون عرفتهم،لمحمد المجذوب ص: 227

الفصل الثالث

اشتغاله بالتعليم والتربية

قام الشيخ الهلالي بالتدريس في بلاد شتى كما سافر إلى السعودية مرورا بمصر حيث أعطاه السيد محمد رشيد رضا توصية وتعريفاً إلى الملك عبدالعزيز آل سعود قال فيها: "إن محمدا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه"[1]، فبقي في ضيافة الملك عبد العزيز بضعة أشهر إلى أن عين مراقبا للتدريس في المسجد النبوي، وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة وأقام بها سنة واحدة.

وبعدها جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند تطلبه للتدريس بمدارسها، فرجح قبول دعوة الشيخ سليمان الندوي رجاء أن يحصل على دراسة جامعية في الهند، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكناؤ بالهند حيث بقي ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة الإنجليزية ولم تتيسر له الدراسة الجامعية بها. وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه الطالب مسعود عالم الندوي مجلة "الضياء". ثم عاد إلى الزبير بالبصرة وأقام بها ثلاث سنين معلما بمدرسة "النجاة الأهلية".

وبعد ذلك سافر إلى جنيف بسويسرا وأقام عند صديقه، أمير البيان، شكيب أرسلان، وكان يريد الدراسة في إحدى جامعات بريطانيا فلم يتيسر له ذلك،

[1] علماء ومفكرون عرفتهم،لمحمد المجذوب ص: 197

فكتب الأمير شكيب رسالة إلى أحد أصدقائه بوزارة الخارجية الألمانية يقول فيها: "عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة"[1]، وسرعان ما جاء الجواب بالقبول، فسافر الشيخ الهلالي إلى ألمانيا وعين محاضراً في جامعة "بون" وشرع يتعلم اللغة الألمانية، حيث حصل على دبلومها بعد عام، ثم صار طالباً بالجامعة مع كونه محاضراً فيها، وفي تلك الفترة ترجم الكثير من الألمانية وإليها، وبعد ثلاث سنوات في بون انتقل إلى جامعة "برلين" طالباً ومحاضراً ومشرفاً على الإذاعة العربية.

وفي سنة(1940م) قدم رسالة الدكتوراه، حيث فنّد فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارثمن، وكارل بروكلمان، وكان موضوع رسالة الدكتوراه «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها»، وكان مجلس الامتحان والمناقشة من عشرة من العلماء، وقد وافقوا بالإجماع على منحه شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

وفي سنة (1947م) سافر إلى العراق وقام بالتدريس في كلية «الملكة عالية» ببغداد إلى أن قام الانقلاب العسكري في العراق فغادرها إلى المغرب سنة (1959م). وشرع أثناء إقامته بالمغرب –موطنه الأصلي– في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك واتباع نهج خير القرون.

[1] علماء ومفكرون عرفتهم،لمحمد المجذوب ص: 198

وفي هذه السنة (1959م) عين مدرسا بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم بفرعها بفاس، وفي سنة (1968م) تلقى دعوة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذاً بالجامعة منتدباً من المغرب فقبل الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلى سنة (1974م) حيث ترك الجامعة وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف الصالح. وكان من المواظبين على الكتابة في مجلة "الفتح" لمحب الدين الخطيب، ومجلة "المنار" لمحمد رشيد رضا رحمهم الله جميعا.

ثناء العلماء على الشيخ الهلالي

إن شخصية الشيخ تقي الدين الهلالي شخصية عبقرية فذة، ونال مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والثقافية، واعترف العلماء والفضلاء بعبقريته في العلوم والفنون من النثر والشعر والنحو والصرف واللغة وغير ذلك، وثناء العلماء عليه دليل على عبقريته وشخصيته، وفي السطور التالية سآتي بأقوال العلماء والفضلاء في الثناء عليه كي تتضح لنا شخصية الشيخ الهلالي، فأقوال العلماء كما يلي:

قال الشيخ ابن باز، رحمه الله، في مفكرته (تحفة الإخوان)، الذي سجله بعدما بلغه خبر وفاة الشيخ الهلالي، كتب:

"تُوفي الشيخ العلامة الدكتور محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسني، في الدار البيضاء بالمغرب، في يوم الثلاثاء الموافق 27 شوال، عام 1407هـ فرحمه الله، رحمةً واسعةً وضاعف له الحسنات .

وكان مولده في محرم من عام 1311هـ أخبرني بذلك رحمه الله، مشافهة في المدينة، وبذلك يكون قد عاش، (97) سبعة وتسعين عاماً، إلا شهرين وأياماً"[1].

قال الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله:

"في الحقيقة لم ألتق مع رجل يحوي علمًا جمًّا في فنون عديدة مثل الدكتور الهلالي، وقد مضت علي الآن خمس وأربعون سنة لم أر مثله".

"وكان يعرف من اللغات: العبرية، والألمانية، والإنجليزية، والأسبانية، بجانب العربية بحيث لو كان في زمن الأصمعي لسلّم له بأنه إمام في العربية".

"ثم عاش في العراق مدة بعد خروجه من المدينة، وتزوج هناك، وكان شاعرًا يمتاز بميزات نادرة".

"... وهو شيخي استفدت منه كثيرًا، وكان سلفي العقيدة؛ لو قرأت كتابه في التوحيد لعلمت أنه لا يعرف التوحيد الذي في القرآن مثله"[2].

يقول الحاج أحمد هارون التطواني وهو من تلاميذ الشيخ:

---

[1] تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، عبد العزيز بن عبدالله بن باز ص: 70

[2] www.alhilali.net

"لم يكن شيخنا ليضيع وقتا مهما كان، يقرأ ويكتب الأشعار وهو في السيارة، يقضي يومه من الصباح إلى المساء في علم وتعليم وذكر وتأليف".

"يتميز أستاذنا باتصاله بالشعب، فأي شخص صغير أو كبير يستطيع أن يوقفه في الشارع ويتحدث معه، كما كان بيته مفتوحا دائما، فتجد الأفواج تأتي إلى منزله وهو لا يمل من الترحاب والإكرام ، وكان يقوم بنفسه قبيل صلاة الصبح يسخن لنا الماء لنتوضأ به"[1].

قال الشيخ مشهور آل سلمان:

"لم أسمع ولم أر مثله إلا شيخنا (يعني الشيخ الألباني رحمه الله) ، وبينه وبين شيخنا الإمام الألباني مشابهات كثيرة جدا، وكان عالما بالتوقيت وحريصا على التوقيت وكتب كتابا في أصول التوقيت وبيان أن أوقات الصلوات خطأ، وكان شيخنا يمدحه في هذا الباب، والتقى به ومدحه"[2].

قال الشيخ سليم بن عيد الهلالي:

"يعد العلامة تقي الدين الهلالي بحق مجدد التوحيد في هذا القرن"[3].

قال الشيخ علي بن حسن الحلبي:

"...وإن النهضة السلفية التي وجدت في بلاد المغرب لم تكن لتكون موجودة إلا بتوفيق الله تعالى للشيخ الهلالي وامتداد مدرسته في تلاميذه.."[4].

قال الشيخ بن عسو:

---

[1] www.alhilali.net
[2] نفس المصدر
[3] نفس المصدر
[4] نفس المصدر

"...وقد مكث الشيخ في آخر حياته بالمغرب متنقلا يدعو إلى الله ومقامه كان بمدينة مكناس، لكن أهل الأهواء والبدع لا يتركون للشيخ فرصة يدعو بها إلى الله..."[1].

قال الشيخ إبراهيم برياز (من تلاميذ الشيخ):

"...والدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله جاهد في الله حق جهاده تبعا لأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ..."[2]

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله:

"الفاضل فاضل حيث كان، كما أنّ الشمس شمس شرقت أم غربت. والأستاذ العلامّة محمّد تقي الدين الهلالي –صاحب الفصول الممتعة والبحوث الجليلة في صحيفة الفتح– من أفاضلنا الذين أجمع على الاعتراف بفضلهم الشرق والغرب، والعرب والعجم، والمسلمون وغير المسلمين. وفي الهند تبوأ منصة التدريس في أرقى جامعاتها وفي العراق معروف بدأبه على خدمة هذه الأمّة وحرصه على خيرها، وهو الآن في ألمانيا موضع الحرمة من أركان جامعة بون التي يتولى التدريس فيها.. فالأستاذ الهلالي رجل علمي واسع النظر واقف على أحوال الشرق والغرب لذلك كان ما يقرره في بحوثه من حقائق يأتي ناضجا مفيدا ممتعا، ومن حسن الحظ أنّ قراءنا يقدرون رجالهم كما نقدرهم وكل ما يكتبه الأستاذ الهلالي وأضرابه في الفتح يأتي بالفائدة المرجوة منه والحمد لله"[3].

---

[1] www.alhilali.net
[2] نفس المصدر
[3] www.alhilali.net

خلاصة القول: إن الشيخ الهلالي هو عالم من العلماء الكبار والفضلاء الأفذاذ الذين لهم خدمات جليلة وأعمال بديعة وإسهامات كثيرة في إثراء الدراسات العربية والإسلامية بتأليفاتهم، والذين بذلوا جهودا جبارة نحو الدعوة الإسلامية حسب استطاعتهم وقدراتهم، والذين سعوا حق مسعاهم في إصلاح الجيل، والذين كانت حياتهم حافلة بالرحلات الدعوية والتربوية، ويصدق عليهم قول القائل:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

الباب الثاني

الأعمال الشعرية للشيخ الهلالي

الفصل الأول: شعر الشيخ الهلالي وموضوعاته

الفصل الثاني: خصائص شعر الشيخ الهلالي ومميزاته

الفصل الأول

شعر الشيخ الهلالي وموضوعاته

ساهم الشيخ الهلالي في مجال الشعر مساهمة فعالة وقرض أشعارا كثيرة بمناسبات مختلفة وله ديوان سمى بـ "منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي"، هذا الديوان يشتمل على (867) صفحة، ويقع في جزأين، فالجزأ الأول يشتمل على (418) صفحة، والثاني يشتمل على (449) صفحة، صدرت له الطبعة الأولى من دار الجيل للنشر والتوزيع بالأحباس- الدار البيضاء-، سنة 1431هـ- 2010م.

عنى العلامة الباحث الدائب الشيخ مشهور آل سلمان بآثار الدكتور، فقام بتحقيقها وإعدادها للطبع، وكان من ذلك شعره؛ فبحث عنه ونقب فعثر على كثير من نظمه مفرقا في الصحف والمجلات، فكان من ذلك هذا "الديوان" العجيب، الذي يستفيد منه القارئ أدبا، ولغة، وبلاغة، وتاريخا، ودعوة، وحقائق إيمانية، وتوحيدا صافيا، ودعوة صريحة إلى اتباع السنة، ونبذ التقليد، إلى تجارب حياة، ونظرات صائبة؛ اكتسبها الدكتور من تقلبه في الحياة، وإقامته مع أقوام من جنسيات شتى، ومطالعته لآداب أمم مختلفة بما كان يتقنه من لغاتهم؛ كالألمانية، والإنجليزية، والأردية، والعبرية-القديمة والجديدة- وغيرها، مع ما أوتيه من ذكاء قوي، وإدراك واع، وحرص على العلم.

قال الشيخ الهلالي قصائد كثيرة في مناسبات عديدة، كما قال بنفسه:

"قد نظمت شعرا كثيرا، وبعضه جيد، وبعضه متوسط، وإنما عنيت به في أول الشباب قبل أن يشغلني عنه شاغل، فلما فتح الله لي باب كتابه وسنة نبيه، والجهاد في سبيله، ومحاربة المخالفين من مستعمرين ومطاياهم–وهم شرمنهم–، ومبتدعين، وزنادقة منافقين، وآخرين معلنين؛ شغل بالي عن الشعر؛ فتركت الاشتغال به، فوقفت في الدرجة التي وصلتها منه!! ولم أزدد صعودا في مرقاته، ولولا ذلك لبلغت فيه غاية بعيدة –فيما أظن–؛ لأن من أراد بلوغ الغاية في الشعر، وفتح له بابه، لا بد يستمر في نظمه طول عمره ولا يهجره، ومتى هجر الشاعر الشعر هجره الشعر، إلا أنني لم أزل أعود إليه كلما احتجت إليه؛ فأستدر ضرعه اليابس حتى يجود لي بقطرات"[1].

"الشيخ الهلالي لم يثبت في نظمه على شعره، بل غير وبدل، وزاد ونقص، على حسب المستجدات والظروف، ولاسيما في شعر الهجاء، أو الشعر الذي دون فيه بعض الأحداث السياسية، أو التي تخص العقيدة، وموقفه من المبتدعة، كقوله:

أقسمت بالنور الذي

في وجهه لا يختفي

نظمه قبل معرفته التوحيد الصحيح، وصرح بهذا عقب القصيدة، قال: "قولي:(أقسمت بالنور الذي)؛ البيت غفلة عظيمة، وجهالة وقعت فيها مع العلم بأن الحلف بغير الله جاء فيه وعيد شديد.." ولذلك أقترح أن يبدل البيت فيصير هكذا:

أو ما ترى النور الذي

في وجهه لا يختفي"[2]

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص 101

[2] المصدر السابق، ص:19

قد قام الهلالي بذكر أشعار المناسبات في "ديوانه"، ونظم فيه مواد علمية شرعية، أو لغوية، أوتاريخية، وتناول فيه مختلف فنون الشعر مثل المدح، والهجاء، والغزل، والوصف، والشكوى والعتاب، والدعوة إلى التمسك بكتاب الله–تعالى–، وبالسنة النبوية، والتوحيد الصحيح، ونبذ الشرك والتقليد، والمساجلة، والرثاء، والحكاية، ففي السطور الآتية سأقوم بذكر هذه الفنون مع بعض الأشعار التي قالها الهلالي في ذلك الصدد، كي تتضح لنا مهارته الشعرية البديهية.

المدح:

لم يكن يمدح الهلالي إلا من يستحق المدح في نظره؛ فمدح –مثلا– أستاذه الأول؛ سأذكر هنا بعض أشعار القصيدة، وهي كما يلي:

"إن كان رأيك أن أبقى بذا النادي

بغير علم يرى عندي ولا زاد
فما تراه هداك الله خالقنا
أنت المطاع بعون المالك الهادي
لكنني يا أبا الخيرات أنشدكم
بيتي جرير وإن لم يحل إنشادي
ماذا ترى في عيال قد بليت بهم
لم أحص عدتهم إلا بعدادي
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لو لا رجاؤك قد قتلت أولادي
محمد سيدي ياسيد الحنفا
والصالحين معا بدون إفناد

أنت الذي ما رأت عيناي مثلك في
ذالعصر من حاضر في الناس أوباد"[1]

مدح أحمد المشاري :

قال الهلالي حوالي سنة 1347هـ بالدورة مخاطبا الشيخ أحمد المشاري من آل إبراهيم، وكان وكيلا لصهره، الصديق الكريم أبي يوسف مصطفى آل إبراهيم.

سأقوم هنا بذكر بعض أشعار مدح بها الهلالي أحمد المشاري:

"أأحمد ذا الفضل عالي الرتب كريم السجايا زكي الحسب
لك المكرمات التي لم تزل بها قبلة عند أهل الأدب
مكارم طارت بكل البلاد مطار الشموس بلا محتجب
فلا تجعلن –فدتك النفو س نومي على مقعد من خشب
فإني سئمت الرقاد عليه وسوف أبين بعض السبب
وجد بسرير حديد وطيء إذا ما اتكأت عليه اضطرب"[2]

وصرح الهلالي أن مدحه لأحبائه بسبب شيء يهيج به ويحرك وجدانه؛ فهو لايمدح بدنيا فانية، قال:

"ولست بمداح يقول قصائدا
لمنح صلات أو جوائز سلطان
ولكن أصوغ الشعر درا منضدا
إذا هاجني أمر وحرك وجداني"[3]

---

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:310
[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:145
[3] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:60

الهجاء:

وقد قال الهلالي بعض القصائد في الهجاء، وهجاؤه مرير، وصرح أنه كان سببا في القضاء على بعض من هجاه، كما يقول في هجاء شيخ متصوف، وصرح بسبب هجوه؛ فقال: "كان قد شتمني بسوء في درس الوعظ الذي كان يلقيه بأحد مساجد تطوان". هنا سأقوم بذكر بعض الأشعار من تلك القصيدة، وهي كما يلي:

"أتشتمني يا ابن اللئام بلاسبب
وأنت يمين الله قرد بلا ذنب
فلا أنت ذو علم ولا أنت ذو حجى
ولا أنت ذو تقوى ولا أنت ذو حسب
ولا أنت ذو عرض مصون موفر
ولا أنت ذو حلم ولا أنت ذو نسب"[1]

وهجا الهلالي كثيرا جدا مثل هذا، فهجا فقيهين كانا يعاديان التوحيد والسنة، كما هو يقول:

"يا بائع الوقف ومنفق مال
الوقف في جلب البغايا القحاب
بيتك بالمشراق يشكو لمن
مر به ما نابه من خراب
يا بائع الوقف أما تستحي
من حكم عدل شديد العقاب
يا عابد القير أما ترعوي

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:127

عن شركك المرديك يوم الحساب"[1]

والهلالي في قصائده منفعل، بل هو في بعضها هائج، يهجو من تعامل مع المستعمرين، أو لزم الصوت تجاههم، و يهجو من وقف في طريقه في الدعوة إلى الله، بل لعله هجا بعض من مر به ولم يسلم عليه، أو من تعاطف مع أهل الباطل.

ولم يقتصر الهلالي الهجو على الفاسدين المفسدين في عقائدهم وأعمالهم ومناهجم، بل تعدى الهلالي ذلك؛ فهجا من أقلق راحته؛ كما فعل في أهل فندق في مكة في موسم الحج، كما هو يقول بلسان حاله عن سبب ذمه لأهل الفندق:

"أنهم أساؤوا معاملتي كما يسيئون معاملة الحجاج كلهم، هذا وكنت ضيفا لأحد رؤساء الحكومة السعودية، فكيف لو كنت حاجا عاديا؟!!"[2]

"أرى فندق التيسير ما فيه من يسر
ولكنه بيت المصائب والعسر
فيا أيها الحجاج عنه تباعدوا
ولا تنزلوا فيه وقيتم من الشر
فكل أهاليه لصوص فلا ترى
لديهم سوى التضليل والكيد والمكر
ولا يخدعنكم شكله وبناؤه
فإن وراء الشكل قائمة الظهر"[3]

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:150
[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:367
[3] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:367

أكتفي ببعض هذه الأشعار، لأن هذه القصيدة طويلة جدا. وكذلك قرض الهلالي اشعارا كثيرة في الهجاء، كما أنه هجا أهل مطعم في ألمانيا:

قبح الله و لا يغفر لهم
أهل ذا المطعم من قوم كفر
أخذوا ماركا وخمسين وما
قدموا لي غير أكل محتفر
ثم قالوا (دانك شؤن) وأنا
منهم ممن شكا لا من شكر[1]

وهكذا هجا الهلالي بعض الدول، سأذكر هنا على سبيل المثال بعض الأشعار التي قالها في سقوط فرنسا، واستيلاء الألمان عليها ردا على من كان يناصرها، بتطوان في ذي القعدة 1361هـ.

"يقول جهول في الضلالة سابح
وبالزور والعدوان والإفك نابح
فرنسة في قيد الحياة ولم تمت
ستبقى على العلات دوما تكافح
فقالت له الأقدار وهي ضواحك
تمنيت حمقا إن سبغك طائح
إذا ما أراد الله إهلاك أمة

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:362

فلم تك تنجيها المن والمدائح"[1]

الغزل:

للهلالي قصائد وأشعار كثيرة في الغزل، كشعره (في الشواب الفرنسيات)، وقال لما خرج الهلالي إلى محطة القطار ليودع بعض الأصدقاء، ورآهن في أحسن زينتهن؛ فنظم بيتين، ضمنهما شطرا من بيت مشهور من شواهد النحو:

وذانك البيتان كما يلي:

"لمن أشتكي ماهد قلبي من الهوى غداة بيوت الروم أبدت ظباءها

تهادين هونا في المحطة ساعة فما زالت القتلى تمح دماءها"[2]

وهكذا نظم الهلالي أبياتا في ناظرة الكتب العربية ببرلين؛ ووصف فيها جمالها وحسنها، كما هو يقول:

"وجارية قد صاغها الله فتنة

من الحسن تلقي في الهوى كل من نظر

متى أقبلت فالناس تلحظ وجهها

وإذا أدبرت فالكل يتبعها النظر

جميع معاني الحسن فيها تجمعت

فتم بذا فيها على الناظر الخطر"[3]

---

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:240

[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:113

[3] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:361

الوصف:

إن الوصف احتل رقعة لا بأس بها، كما وصف سفينة، سأقوم هنا بذكر بعض الأشعار التي قالها على ظهر الفلك:

"سلام من الله السلام على البحر
سلام على الفلك الذي فوقه يجري
ركبناه من مرسلية في عشية
وروم وعربان عليه بلا حصر
ولما استوينا فوقه صرت قائلا
أعوذ برب الناس من كرب البحر"[1]

الشكوى والعتاب:

تناول الهلالي في شعره الشكوى والعتاب، وهو يظهرهما في شعره ممزوجا تارة بالهجاء، وتارة بالمدح، وتارة بالوصف، وتارة بالابتهال، فها هو يبتهل إلى الله – تعالى– وفيه شكوى من حاله في عجره وبجره؛ سأقوم هنا بذكر بعض الأشعار من هذا النوع :

"إليك أشكو عجري وبجري وغمتي وما اعترى من كدري
أنت الذي تفرج الكروبا أنت الذي تنور القلوبا
أنت الذي تجبر كل كسر أنت الذي تدفع كل ضر
أنت الذي تذهب كل غمة أنت الذي تأتي بكل نعمة"[1]

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:340

الدعوة إلى التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم، والتوحيد الصحيح، ونبذ الشرك والتقليد:

إن الهلالي أكثر في ديوانه من الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، ونبذ ما زخرفه الرجال، وما تمليه العقول، وما عرف من المألوف، وشاع في الأعراف، وحث على ضرورة التمسك بما كان عليه خير الناس (الصحابة والتابعون)

فهو يقول :

"لقد غفلوا عن قول أصدق قائل
لدى النمل تحذيرا لنا وعظات

ففي (آل عمران) و(الأعراف) و(النسا)
كذلك آي غير مشتبهات"[2]

يشير الهلالي في البيت الأول إلى قوله –تعالى– : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون) {النمل:50}.

وفي الثاني إلى قوله –تعالى– : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) {آل عمران:54}. و (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)

---

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:349
[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:66

[الأعراف:99]، و(والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا)[النساء:45]

ومثل هذه الإشارات إلى ما في الأيات كثير.

وللهلالي قصيدة بديعة جدا بعنوان: (أتوعد سنات الرسول بمحوها) وقال الهلالي هذه القصيدة لما رأى أحد الرؤساء من أهل المغرب كان يحارب توحيد الله واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأخذ يبعث الجواسيس ليحضروا دروسه وجمعه معه فأراد أن يوبخه ويهدده فأغلظ الهلالي له القول ولم يعبأ بتهديده فكاد له ولجماعته السلفيين الذين معه كيدا عظيما فرد الله كيده في نحره كما جاء في القصيدة. سأذكر هنا بعض الأشعار لتلك القصيدة، وهي كما يلي:

"لقد طال ليلي والجوى مالئ صدري

وبرح بي شوق إلى ربة الخدر

أقضي نهاري دائم الفكر والأسى

وليلي تسهاد إلى مطلع الفجر

وأكتم أسراري حذار من العدى

ومهما أبح فالحب أفقدني صبري

تذكرت أيام الوصال فكاد من

تذكرها قلبي يطير من الصدر

فيا ويح قلبي ما يلاقي من الهوى

ومن فرط آلام الصبابة والهجر

أتوعد سنات الرسول بمحوها

تعرضت للتدمير ويلك والثبر

ومن يقل سنات الرسول فإنه

يعذب في الدنيا وفي فتنة القبر"[1]

وهكذا للهلالي قصيدة رائعة جدا قالها في أسماء الله الحسنى، فكما يقول عن تلك القصيدة:

"اطلعت على قصيدتين في أسماء الله الحسنى إحداها للحافظ الضمياضي المصري رحمه الله التزم فيها أن يجعل كل بيت مشتملا على اسمين والثانية للعلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي لم يلتزم فيها عددا خاصا في كل بيت فيشتمل البيت الواحد على ثلاثة أسماء أو أربعة و ظهر لي أن أنظم قصيدة تشتمل على أسماء الله الحسنى وألتزم إسما واحدا في كل بيت والباقي دعاء فيسر الله ذلك ونظمتها في العاشر من ذي القعدة سنة 1397هـ."[2]

سأكتفي هنا بذكر بعض الأشعار، لأن القصيدة طويلة جدا، وهي تتجاوز عن 112 شعرا.

---

[1] مجلة "الجامعة الإسلامية" السعودية، العددالثامن عشر، شوال سنة 1392ه، (ص :23)

[2] الهلالي.نت

"آل النبي ذو الإكرام و النزل

ثم الصلاة على محمد و على

بها بصدق يكون الخير فيه جلي

لله أسماؤه الحسنى فسائله

مسهلا حفظها للسائلين و لي

نظمتها قاصدا وجه الإله بها

ما قد قصدته و التوفيق في عملي

فقلت و الله أسأل الإعانة في

و أن ينجيني ربي من الوجل

إني من الله أرجو اليسر في عجل

فارحم بفضلك ضعفي أعطني أملي

و أنت رحماننا دنيا و آخرة "[1]

المساجلة:

ساجل الهلالي مجموعة من مشاهير الأعلام، وأنشد أبياتا أو قصائد في مجالس مختلفة، سأذكر هنا على سبيل المثال المساجلة والمعارضة بين الهلالي وبين

[1] Alhilali.net

الحاج أحمد الجوادي الموصلي، إذ لقيه في بيت محمود بك الجليلي بالموصل سنة 1948م فالتفت الجوادي إلى الهلالي وقال مخاطبا له:

قال الحريري:

"لاتزر من تحب في كل شهر

غير يوم ولا تزد عليه

فانتظار الهلال في الشهر يوما

ثم لا تنظر العيون إليه"[1]

وكأنه أشار إلى أن الهلالي لم يزره إلا مرة، أو أنه لا حاجة له برؤية الهلالي ثم لا يعود، فقال الهلالي معارضا وملمحا:

"زر أحباك كل يوم ولا تخش ملالا من كثرة الازدياد

فبعود الهلال كل مساء قد تسامى لرتبة الأبدار"[2]

الرثاء:

شعر الهلالي في الرثاء قليل، ولكنه مؤثر وبليغ، ومن رثاهم الهلالي: شكيب أرسلان؛ والملك محمد الخامس –ملك المغرب– ، وبعض الأشعار لرثاء ملك المغرب كما يلي:

---

[1] مقامات الحريري –المقامة الفرضية-، ص:152

[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:394

"دار الغرور فكم دهت من سيد

شامي السلاح وأوهنت من أيد

إن أضحكت أبكت وإن هي قد صفت

فصفاؤها متعقب بمنكد"[1]

الحكاية:

هذا هو القسم الذي غلب على شعر الهلالي، وربما دخلت فيه الرحلة والرثاء والشعر الطريف، وغير ذلك.

وبالجملة؛ فأشعار الهلالي قوية في سبكها، قوية في مضمونها، أثار فيها كل من له غيرة على دينه ووطنه أن يقوم بدوره، وأن ينهض بواجبه، وجهد فيها على هجاء كل من أراد شرا ببلده، أو اعتدى على عقيدته ودينه، أو لم يستسلم لسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم–؛ فالهلالي لم يمل من تصحيح الأخطاء، وهجاء الداعين إليها.[2]

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:302

[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:73

الفصل الثاني

خصائص شعر الشيخ الهلالي ومميزاته

الشيخ الهلالي هو شاعر من الشعراء الكبار الذين يبقى شعرهم أنموذجا حقيقا لشعر الإصلاح بالمغرب الحديث، بل سجلا واقعيا، وذاكرة حية لهذه الحقيقة من تاريخ المغرب الأقصى، ويظل الشاعر الهلالي أحد رواد هذا اللون من الشعر، وقطبا من أقطاب الأدب الإسلامي الحديث عموما، وقيمة شعر الهلالي ومنزلته تكمن في خصائصه المميزة، وسماته المتفردة، ففي السطور الآتية سأقوم بذكر خصائص شعر الهلالي ومميزاته كي تتضح لنا عبقريته في الشعر.

المواد الأجنبية في شعر الهلالي:

من أساليب الهلالي في كتبه كلها الاسترسال والاستطراد وإرخاء القلم، والخروج عن صلب الموضوع الذي هو بصدده ووقع له هذا كثيرا في الديوان؛ فأورد فيه قصصا وحكايات، جلها بمناسبة قول الأبيات، أو مايتعلق بها من مناسبات، ولعله يشتمل أحيانا على إفاضات وإفاضات متنوعة، جلها تخص ترجمته ومواقفه، أوتسجل بعض مواقفه من بعض الأحداث الجسام، أو القضايا الفخام، أو المسائل المهام.

الإبداع في شعر الهلالي: إن شعر الهلالي قوي ومتماسك، وهو ذو نفس طويلة فيه، ويجد القارئ ألفاظه جزلة فصيحة، عدا نتف يسيرة، وخصوصا تلك القصيدة التي جرت على الأوزان المستحدثة.

و التزم الهلالي في جل قصائده عمود الشعر، وطريقة المتقدمين، وأفكاره سامية إلا نزرا يسيرا، " هي بعض من تكلم فيه عيوب خلقية وتفريع، ولعله يذهب أحيانا إلى الهزل؛ فيتابع خيالا ماجنا، أو يذكر حادثة فيها مجون شاب دب إلى آخر ليلا، وكنى في هذه، ولم يفصح عن ذكر العورات؛"[1]

ويعلم القارئ للديوان لشعر الهلالي أنه يصلح لأن يكون وثيقة تاريخية حافلة بالكفاح السياسي الطويل في مقارعة الاستعمار، وفيه كثرة البعوث والأسفار، وكان ذلك مقرونا بكفاح آخر في ميدان الإصلاح؛ فهو يتضمن هموم وقضايا ومصير الأمة، بل هذا لايكون من المبالغة إن قيل:

" إن ديوان الهلالي يعد مثالا لمن سخر الشعر للدفاع عن عقيدة التوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة".[2]

قال بعض تلاميذ الهلالي عنه:"كان شاعرا عبقريا، صرف جل شعره في الذود عن عقيدة التوحيد والسنة المطهرة، وهاجم بقوافيه البليغة أهل الشرك وأصحاب البدع، وأرسلها عليهم شهبا محرقة، تدفع باطلهم"[3]

ويقول بعض مترجميه:

---

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:57
[2] نفس المصدر
[3] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:57

"للشيخ الهلالي شعر كثير، قاله في أغراض مختلفة من مدح وهجاء ورثاء وغيرها، ومعظمه يتعلق بشؤون الدعوة التي كانت تشغل باله، وتملك عليه وجدانه، ويبدو في شعره صادقا قوي العاطفة واقعيا، يتتبع تفاصيل الموضوع، وربما يكون ذلك ممتزجا بروح الدعابة والفكاهة والسخرية والتحقير، ولايتكلف قول الشعر، وإنما يأتيه طوعا، ويجري على لسانه وقلمه طبعا، وهو مبثوث في كتبه، وقد نشر بعضه في الصحف"[1].

نشر الهلالي كثيرا من أشعاره في "مجلات" و"جرائد" إلا أن الأقلام التي انبرت للكتابة فيها –آنذاك– كانت مثقفة، وكان الأدباء يعرفون ما يقولون، ويحرصون جهدهم على الإجادة، ولم يكن هناك تطفل على الأدب، ولم يكن يدعيه كل من هب ودب؛.

وكانت المجلات –آنذاك– تديرها حركات جهادية ووطنية، وكانت عندهم مشروع المطالبة بحقوق الشعب المهضومة، وبانتهاج سياسة إصلاحية تتناول جميع شؤون الحياة،

أكثر الهلالي في "ديوانه" من ذكر أحداث تعبر عن تجاربه الذاتية، سواء فيما يتعلق بالدعوة أو العلم، أو بأحداث السياسة والمجتمع، وأبرز عواطفه وأفكاره على حقيقتها من غير تكلف ولا مجاراة.

وموضوعات شعر الهلالي تتفق مع سياق حياته العلمية المفعمة بالذود عن الشرع الحنيف، والمناداة بالعقيدة الصحيحة، ونقاء الدين من البدع والخرافات، وهي

[1] الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956 للأستاذ إدريس خليفة (665/2)

حافلة بالحكم والأمثال المستخلصة مما تعلمه من الحياة، وفي بعضها بيان علاقاته مع علماء الوقت، وزعماء الإصلاح، ورواد الحياة، وفيها ما يكشف عن طبيعة حياته غنى وفقرا، وسقما ومرضا، وسخاء وجودا، وترفعا وعفة، وفيها ما يعرفنا بمجريات مراحل حياته في سنين مختلفة في أقطار متعددة، وفيها ما تشوقه إلى بلاده وهو في بلاد الغربة، وصرح فيه في أكثر من موطن عن توقفه عن قول الشعر في آخر حياته، وأن ما نظمه آخرا ليس كنظمه الأول.

يمتاز شعر الهلالي بميزات عديدة، أهمها:

أولا: السهولة والانسياب والوضوح

الهلالي لا يعقد الكلام، ولا يستخدم الغامض من الألفاظ، بل يميل في شعره كله إلى السهولة والتيسير، والتزم هذا مع استخدامه الاستعارات، وما يسمى بالمجازات، والتصوير الفني، إلا أن القارئ يفهم مراد ناظمه بكل يسر.

قد يخرج شعره في بعض الأحايين عن التصوير والمجازات ليصبح شعرا تقريريا، شبيها بالمنظومات والأراجيز.

وقد انتبه الهلالي لذلك، فقال:

"فخذها على ما جاء من غير كلفة

بنظم ركيك لا جميل ولا حال"[1]

ثانيا: التصوير الفني:

إن الشيخ الهلالي لا يستعمل التصوير بكثرة في أشعاره، ولكنه حين يستعمله يبلغ فيه درجة عالية من الإتقان: كما يقول:

"هبطت إليك من المقام العالي عذراء ذات ملاحة وجمال

يعشي سناها الناظرين إذا بدت ويصاب مبصره بشبه خبال"[2]

ثالثا: التصويت الفني:

"إن التصويت الفني من الفنون الشعرية الجميلة الشائعة في الآداب العالمية، ولكن ما تميز به تقي الدين هو إسهامه في مجال التصويت الفني، وهو إحداث الأصوات في الشعر:

ومن ذلك قوله في القصيدة الديكية :

وصرت تصرخ إذ أبت دجاجته محاكيا صوتها ككا ككا كيك"[3]

هكذا قال وهو ينتقد شخصا يدعي العلم، وهو لا يفقه شيئا، وكان حدادا:

"يلوي الحديد ويطويه وينشره أولى به ذاك من علم وعرفان

---

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:77
[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:78
[3] نفس المصدر ص:79

دقق دقق دقق دقق دقق دقق دقق فانفخوا بالكير صبيان"[1]

رابعا: إدخاله لغات متعددة في شعره:

مما امتاز به الهلالي عن أقرانه من العلماء معرفته اللغات المتعددة؛ فكان يتقن العربية، والإنجليزية، والألمانية والعبرية والأردية والأمغازية (البربرية)، والسريانية، وملما بشيء من الفرنسية والإسبانية والفارسية، وكان يدعو لذلك نثرا ونظما، كمايقول في هذاالصدد:

"وكن للغات العرب والعجم دارسا لتفتح من أغلاقها كل أقفال

فكم فتحت بابا من الخير مغلقا وكم يسرت عنا بعد إشكال

وكم لينت قلبا وقد كان قاسيا فأصبح من بعد الجفا جد ميال

وكم أوضحت حقا فآمن كافر ودان بدين الحق من بعد تضلال

وذا زمن أضحى له الناس كلهم كسكان مصر في اجتماع وأحوال

ومن كان لا يدري سوى لغة غدا كأعرج يمشي في قيود وأغلال

وداري لسان القوم يأمن مكرهم كذلك قال الناس من قبل أجيال"[2]

الهلالي لم ينس اللغات الأخرى حتى في شعره،

---

[1] نفس المصدر ص: 80

[2] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:80

خامسا: النقد اللاذع:

أبرز ما في الديوان قصائد الهجاء، والهلالي يحمل هم الدعوة إلى الله، ويحرص على نشر التوحيد والسنة، ويحارب الشرك والتقليد؛ فمن وقف في طريق ذلك هجاه و شواه، ولم تبق له عنده حرمة ألبتة. وسلك في الهجاء منهجا راع فيها الضوابط الشرعية.

سادسا: تضمين الأدلة الشرعية في الأبيات:

من آثار حرص الهلالي على الشرع؛ أنه أشار إلى بعض الآيات والأحاديث وجعلها في قصائده، وساقها في معرض الاحتجاج، وهذا من أسباب جعل التقرير ظاهرا في ديوانه، ولكن لم يخل ذلك من بلاغة وملاحة أظهرت مقدرته على استعمال عبارات أهل هذا العلم، ولا سيما في الهجو؛ فها هو يقول عن أدلة دجال حداد يروي الحديث:

"عن فحمة بن دخان عن أبي شرد كير عن الشيخ مطراق بن سندان
يقول لا تثقوا فإن صاحبنا حديثه محض تدليس وبهتان"[1]

ملخص القول: في الحقيقة، إن الشيخ الهلالي يقول الشعر من غير تكلف، ويجري على لسانه وقلمه طبعا، ويعبر عن عواطفه من غير مجاراة، وتبدو للقارئ

[1] منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:82

مهارته في مجال الشعر، وهكذا يجد بداهة في شعره، وذلك يدل على ذكائه وفطانته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

الباب الثالث

إسهامات الشيخ الهلالي في الدراسات العربية والإسلامية

الفصل الأول: إسهاماته في كتابة المقالات الأدبية والدينية

الفصل الثاني: إسهاماته في التأليف والترجمة

الفصل الأول

إسهاماته في كتابة المقالات الأدبية والدينية

للشيخ الهلالي مقالات كثيرة على موضوعات شتى في أوقات عديدة في أماكن مختلفة، لأنه زار العديد من بلدان العالم، مثل ألمانيا،(حيث أكمل فيها الدكتوراه) وفرنسا، وباريس، والهند، وأفغانستان، وغيرها. سأذكر هنا بعض مقالاته البارزة، كي تبدو لنا مهاراته الجبارة التي وهبها الله له من المواهب العلمية، والثقافية، والدعوية، والتربوية، والقلمية.

والآن أرى من المناسب أن أقوم بتسليط الأضواء على بعض المقالات في السطور الآتية:

1-التقدم والرجعية:

هذه مقالة لطيفة بيَّن الشيخُ رحمه الله في توطئتها أن كلمتي التقدم والرجعية لم تكن تستعملهما العرب بالمعنى الذي يقصده بهما كتاب العصر الحاضر، فالرجعية عند المعاصرين صفة الرَّجعي الذي يرجع في أفكاره وعقائده إلى الزمان الماضي، وهو عندهم زمن الانحطاط والظلم والجهل والاستئثار والإصرار على الخرافات والأوهام التي انقشع الظلام فيها عن بصائر المتقدمين والمتمدنين السائرين حثيثا في

ركب الحضارة الطالبين للحقيقة ولا يمنعهم منها مانع من العقيدة أو عادة يتعصب الرجعيون لها.[1]

بدايةُ عصر النهضة والتقدم عند الأوروبيين وكيف كانت الحالة قبل ذلك:

وقد نقل الشيخ رحمه الله كلامَ المؤلف الإنكليزي الشهير جوزيف مكيب – وكان عدوّاً للأديان كلها، إلا أن طعنه في الإسلام أقل وأخف من طعنه في النصرانية– في كتابه: (مدنية العرب في الأندلس) وقد ترجمه الشيخ وعلق عليه، وسبب ترجمته للكتاب أن الأساتذة الإسبانيين الذين كانوا يدرسون الطلبة المغاربة في جامعة غرناطة كانوا يفترون على التاريخ، ويزعمون أن المسلمين الفاتحين للأندلس من الشرقيين والمغربيين كانوا سيئي الأخلاق، جهالا عتاة، وكان حُكمهم جائرا قاسيا، فمحوا كلَّ خُلق كريم من الشعب الإسباني، وعلَّموه مساوئ الأخلاق، فكل خلق سيئ مرذول يوجد في الشعب الإسباني هو من آثار الحكام المسلمين!!. فترجم الشيخُ رحمه الله الكتابَ بالعربية ليكون سلاحا بيد الطلبة المغاربة وغيرهم من المسلمين، يواجهون به كل عدو جاحد مكابر.

وممَّا قال (جوزيف مكيب) –وهو كثير ودقيق ومفيد– في وصف انحطاط الأوربيين قبل فتح المسلمين الأندلس وبعده بزمن طويل: "اعلم أن أمهات المدن الأوروبية لم توجد فيها قنوات لصرف المياه القذرة حتى بعد مضي ستمائة سنة من ذلك التاريخ، أي من سنة 756–1356م، فكانت المياه المنتنة النجسة تجري في طول شوارع باريس ولندن، ويُضاف إلى ذلك أنها لم تكن مبلطة أو تجتمع فيتكون منها برك حتى بعدما عملت النهضة في أوروبا عملها قرونا طوالا، أمّا في مدن

[1] أخذت هذه المقالة من "الهلالي.نت" الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المور فكانت الشوارع مبلطة منورة، قد سويت فيها مجاري المياه أحسن تسوية في أواسط القرن العاشر.

الرجعيةُ والتقدم في نظر الإسلام:

وفيه بين الشيخ رحمه الله أن العقل الصحيح يرى التقدم في العلم والعدل وسائر الأخلاق الكريمة، يقول الشيخ: "فكل أمة اتصفت بالعلم والأخلاق فهي متقدمة وإن كان قبل مليون سنة، وكل أمة اتصفت بالجهل ومساوئ الأخلاق فهي متأخرة ساقطة مذمومة ملعونة وإن كانت ستجيء بعد خمسمائة سنة، والإسلام دين العقل يوافق هذا ولا يخالفه أبدا، فلا عبرة بالزمان ولا بالمكان".[1]

مقصودُ الأوروبيين النصارى بالرجعية:

وبيَّن فيه الشيخ رحمه الله أنهم يرون التمسك بالأساليب التي أكل عليها الدهر وشرب وقام الدليل على أنها خطأ رجعية مذمومة، ومن ذلك الاستمرار على الجهر بما ينفع الناس في دينهم وأخلاقهم ومعاشهم وأرزاقهم، ومن ذلك التعصب للعقائد والأنظمة.

الرجعيةُ في نظر الدول التي لا تدين بدين:

بيَّن الشيخ رحمه الله أنها تُقدِّسُ نحلتَها وتعدُّها تقدُّماً، وتعدُّ كلَّ ما خالفها رجعية أو برجوازية، وتذمُّ كلَّ مخالف.

[1] التقدم والرجعية، للشيخ الهلالي ، ص:16

الرجعيةُ عند الشعوب العربية في العصور الأخيرة:

وقد بيَّن فيه رحمه الله أن العرب في هذا الزمان –يعني دولتهم– منقسمون إلى قسمين:

(1) قسم: يسمون أنفسهم تقدميين واشتراكيين، يقول الشيخ رحمه الله:" فإذا قيل لهم: هذا لفظ مبهم، فأي اشتراكية تعنون؟ يقولون: نعني الاشتراكية العربية، فيقال لهم: إن العرب كانوا بعد جاهليتهم لا يعرفون إلا الإسلام، ولا يدعون إلا إليه، ولا يتبعون إلا القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولفظ الاشتراكية غير موجود في الكتاب والسنة، ولم نر لهم تعريفا جامعا لهذه النحلة، ولا حدا يحد بها.

أما الأعمال التي يقومون بها ويعلنون أنها من مفاهيم الإشتراكية فإنهم يختلفون فيها، أما إن كانوا يعنون بالإشتراكية المستوردة من أوروبا، ففي أوروبا نوعان من الإشتراكية:

1– الإشتراكية التي هي مقدمة الشيوعية، كما في شرق أوروبا وفي يوغوسلافيا والصين، ما عدا فرموزة وألبانيا والأحزاب الشيوعية في الشعوب الأوروبية.

2– الإشتراكية الديمقراطية: كاشتراكية حزب العمال في بريطانيا وألمانيا وبلجيكا وفرنسا وغيرها.

3– وهناك اشتراكية انقرضت وهي الإشتراكية الوطنية التي كان عليها هتلر وموسوليني، وأظن أن هذه الإشتراكية هي التي تلهج بها بعض الدول العربية، فهي

إلى اشتراكية هتلر أقرب وأشبه، مع فارق عظيم وهو أن الشعب الألماني الذي كان من وراء هتلر شعب عظيم في مقدمة شعوب الحضارة والعلم والمدنية العصرية...".[1]

(2) والقسم الثاني: ممالك وإمارات، وهي سائرة على ما كانت عليه من قبل، لم تتخذ لنفسها اسما جديدا، وكلها تأخذ بأسباب الحضارة على حسب ما تسمح لها أحوالها ومقدراتها، وكلها تدعو إلى التعاون والتآخي بين العرب، ولا تنكر الوحدة إذا سارت في طريقها الطبيعي مرحلة بعد مرحلة، وإنما تنكر العدوان والتدخل في الشؤون الداخلية أن يقع من دولة في شؤون دولة أخرى.

يقول الشيخ رحمه الله: "وهذا هو المعقول الممكن، على أنني لا أهتم كثيرا بهذه الوحدة إلا إذا كانت مبنية على قواعد الإسلام، وكذلك لا أهتم بالعرب إلا إذا كانوا مسلمين قولا وفعلا. وآية ذلك أن يتبعوا القرآن وما صحَّ من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويكونوا أمةً واحدة كما كانوا في دولة النبي ودولة الخلفاء".[2]

ثم ذكر الشيخ أن الدول التي تسمي نفسها تقدمية اشتراكية تظهر عداوة شديدة للممالك والإمارات، لا لشيء إلا لأنها لم توافقها على مذهبها الجديد. ومن عداوتها لها أنها تسميها رجعية، تريد أنها بمجرد تسميتها نفسها تقدمية واشتراكية وجدت طريق السعادة وسلكته.

الثورة:

---

[1] التقدم والرجعية، للشيخ الهلالي ص: 14
[2] نفس المصدر ص: 16

وهي خروج الشعب على حاكمه أو حكامه إذا أساؤوا التصرف وجاروا وظلموا، أو لم يكونوا أهلا للأمانة التي جُعلت في أيديهم كما وقع في الثورة الفرنسية وفي ثورة سكان الولايات المتحدة الأمريكية على حكامهم البريطانيين، "فإذا توفرت أسباب الثورة –يقول الشيخ– وكان القائم بها هو الشعب، وكان قادتها مُخلصين مُصلحين، لا يريدون بثورتهم رئاسة ولا مالا، وإنما يريدون رفع الجور وإزالة الفساد وتحرير الشعب، فإن الثورة يكتب لها النجاح وتؤتي أكلها".[1] قلت: وفي المسألة تفصيل علمي رزين، ولها شروط وأسباب وموانع، يرجع فيها إلى مَظانِّها، ممَّا خطَّه يَراعُ علماء السياسة والدين.

الجمهورية:

بيَّن الشيخ أن الذين يمدحون الجمهورية لذاتها ليسوا أقل ضلالا من الذين يمدحون الثورة لذاتها، بقطع النظر عن العواقب والنتائج، وقال رحمه الله: "إذا كان الشعب جاهلا منحطا في أخلاقه، ليس له رابطة متينة تربط بين أفراده وطوائفه، قد ساد فيه الغش وقلَّ فيه الإخلاص وخربت الذمم، فإنه لا يصلح للحياة السعيدة لا بالنظام الملكي ولا بالنظام الجمهوري، لأن الرؤساء الذين كانوا يحكمونه في العهد الملكي هم أنفسهم الذين يحكمونه في العهد الجمهوري، ولا يعقل أن يكونوا في العهد الملكي ذئاباً يعيثون فساداً ثم ينقلبوا في العهد الجمهوري ملائكة أبرارا".[2]

---

[1] التقدم والرجعية، للشيخ الهلالي ص: 20
[2] التقدم والرجعية، للشيخ الهلالي ص: 38

الديمقراطية:

بيَّن الشيخ رحمه الله أن الإسلامَ نظامٌ كفيل بسعادة كلِّ مَن تمسك به من جماعات وأفراد ودول، ولا يحتاج أن يستعير من غيره شيئا، وهو لا يتفق مع نظام رأس المال، ولا مع الشيوعية، ولا مع الإشتراكيات بأنواعها. وقد سَبق إلى كل خير يوجد في هذه النظم، وتجنب كلَّ شر فيها، يقول الشيخ: "فإذا وصفتَ الأمةَ بأنها ديمقراطية فقد جهَّلتَها وجهلت عليها، فالإسلام مبني على العدل والإحسان، وفيهما سعادة البشر أجمعين".[1]

الحرية:

يقول الشيخ رحمه الله: "ومن العجب أن هؤلاء الجبابرة الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار حُكماً كله دماء ودموع، وقهر وكبت، وإذلال وإهانة، ومع ذلك يتغنون بالديمقراطية والحرية، وهم يعلمون أنهم أبعد الناس عن الحرية والديمقراطية". [2]

الحرية والديمقراطية هما مصطلحان يستخدمهما الحكام في هذه الأيام لاستغلال الشعب فقط، ليس هناك لهم هدف سواه خلف ذلك، وإثم الحرية والديمقراطية أكبر من نفعهما.

---

[1] نفس المصدر ص: 39

[2] نفس المص40در ص:

2-أهل الحديث:

إن هذه المقالة[1] جيدة من نوعه، وبديعة في صنعه، بين فيها الشيخ الهلالي أهمية علم الحديث، وأهل الحديث، وهو يقول عن سبب كتابة هذه المقالة:

" ندبني الأستاذ رئيس تحرير مجلة (الوعي الإسلامي) إلى المشاركة في تحرير مقالات هذه المجلة المباركة التي أسست لإيقاظ المسلمين ونشر الوعي في نفوسهم ليزدادوا تبصراً واستنارة في أمر دينهم ودنياهم ويعيدوا للإسلام عزته ومجده ففكرت في الموضوع الذي أطرق بابه فبدا لي موضوع شريف يهم كل قارئ من المسلمين وكل طالب علم من المحصلين ألا وهو معرفة أهل الحديث نضر الله وجوههم فإنه موضوع مع شرفه وفضله قل من يشتغل به في هذا الزمان وإذا علمنا أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو خير الكلام بعد كلام الله تعالى ولا يمكن تدبر الكتاب العزيز ومعرفة معانيه إلا بالعلم بأحاديث نبيه الكريم لقوله تعالى: ((وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ)) [النحل: 44]."[2]

وأكد الشيخ الهلالي قوله بالأحاديث النبوية الشريفة في فضل علم الحديث وأهله، وقدم خمسة أحاديث في هذا الصدد، سأكتفي هنا بتقديم حديث واحد، وهو كما يلي:

روى الترمذي عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة "وقال :هذا حديث حسن غريب قال القاري

---

[1] أخذت هذه المقالة من www.alhilali.net

[2] أهل الحديث للشيخ الهلالي ص: 1

في المرقاة شرح المشكاة: ورواه ابن حبان في صحيحه ذكره ميرك والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقال الخطيب في كتابه شرف أصحاب الحديث: قال لنا أبو نعيم: هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً[1].

3-قصة فتاة "نزهة كويز" مع الشيخ الهلالي:

هذه المقالة تدور حول قصة الفتاة المغربية "نزهة كويز" مع الشيخ الهلالي، وملخص القصة كما يلي:

وهي من تلميذات الشيخ الهلالي، عزمت على أن تعصي والديها ولا تعود إلى المدرسة، بعد أن عرفت ما أوجب الله عليها من ستر العورة والتمسك بالعفاف، فقالا لها: أجننت؟ كيف تتركين بعد ما نجحت في السنة الخامسة من الثانوي؟.

فقالت لهم: "إني قد علمت من دروس الدكتور محمد تقي الدين ابن عبدالقادر الهلالي الحسيني أن ما ترتكبه المدارس الثانوية من إجبار الفتيات على التجرد من ثيابهن بحيث لا تبقي إلا خرقة رقيقة تستر القبل ستراً كالعدم، وأخرى مثلها تستر الدبر ويكون ذلك أمام رجال المدرسة من معلمين وطلاب، ومن يمر بجانب المدرسة من عابري السبيل [لايجوز]."[2]

---

[1] أهل الحديث، للشيخ الهلالي ص:2

[2] قصة الفتاة المغربية، للشيخ الهلالي ص:2

أثرت عليها دروس الشيخ الهلالي تأثيرا كبيرا، وبدأت تغطي رأسها، وبدأت تحافظ على الصلوات، وحينما كانت تصلي صلاة العصر في المدرسة فهناك سفهاء المدرسة من الرجال والنساء يجتمعون عليها، ويقولون: هذه الجدة جاءت!! هذه الحاجة جاءت!! استهزاء بها، فلا تبالي بهم، وتصلي صلاة الاطمئنان.

ذات مرة ذهبت إلى المدرسة لحاجة مغطية رأسها، فرأى شخص وقال: أأنت مريضة؟ لماذا غطيت رأسك؟ فأجابت إن الإسلام أمرني بتغطية الرأس، لذا أنا فعلت.

حينما سافرت للتعليم في مدارس السعودية تلقت تغطية الوجه والتستر التام بغاية السرور والفرح، ورأت في الطريق كيف يعامل الناس مع الطالبات المسلمات بغاية الإكرام والاحترام.

4-منقبة للملك فيصل (رحمه الله):

كان الشيخ الهلالي مقيما في باريس عند أحد الإخوان من الموحدين، وكان قد سمع أن الطبيب الجراح الشهير الدكتور موريس بوكاي، ألّف كتابا بيّن فيه أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية، أن يعتقد بأنه حق منزل من الله-تعالى- ليس فيه حرف زائد، ولا ناقص، وقال للأخ الذي هو مقيم عنده، أريد أن أزور الدكتور موريس بوكاي، لأعرف سبب نصرته لكتاب الله، ولرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فلم يجبه بل ذهب إلى الهاتف "التليفون"، وتكلم مع الدكتور موريس بوكاي، وقال له: إن عندي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي البالغ من العمر سبعا وثمانين سنة، يريد أن يزورك ويتحدث معك.

فقال له: أنا أزوره الآن، وبعد قليل طرق الباب، فذهب صاحب البيت وفتح الباب، فإذا الدكتور موريس بوكاي قد جاء، فدخل عليهم، ففرحوا بزيارته، وقال الشيخ الهلالي له: أرجو من فضلك أن تحدثنا عن سبب تأليفك لكتابك: "التوراة والإنجيل والقرآن، في نظر العلم العصري" فشرع يتكلم، فقال له: إنه كان من أشد أعداء القرآن والرسول محمد–صلى الله عليه وسلم– وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي يعالجه، فإذا تم علاجه وشفي يقول له: ماذا تقول في القرآن هل هو من الله–تعالى– أنزله على محمد، أم هو من كلام محمد نسبه إلى الله افتراء عليه؟ قال: فيجيبني هو من الله، ومحمد صادق، قال فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله، وأن محمدا ليس صادقا، فيسكت، فمضى على ذلك زمانا حتى جاءه الملك فيصل بن عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية. فعالجه علاجاً جراحياً حتى شفي، فألقي عليه السؤال المتقدم الذكر، فأجابه الملك فيصل: بأن القرآن حق، وأن محمداً رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صادق. فقال له: أنا لا أعتقد صدقه. فقال له الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟. فقال: نعم قرأته مراراً وتأملته. فقال له الملك فيصل: هل قرأته بلغته، أم بغير لغته، أي بالترجمة فقال الطبيب: أنا ما قرأته بلغته، بل قرأته بالترجمة فقط، فقال له: إذن أنت تقلد المترجِم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، والمترجِم ليس معصوماً من الخطأ والتحريف عمداً، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأه بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ.

ووضع الطبيب يده في يد الملك فيصل، وعاهده على ألا يتكلم في القرآن، ولا في محمد إلا إذا تعلم اللغة العربية، وقرأ القرآن بلغته، وأمعن النظر فيه، حتى تظهر له النتيجة بالتصديق، أو بالتكذيب.

فذهب من يومه ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس، إلى قسم اللغة العربية، واتفق مع أستاذ بالأجرة أن يأتيه كل يوم إلى بيتي، ويعلمه اللغة العربية ساعة واحدة، كل يوم، حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ، ومضت على ذلك سنتان كاملتان لم تفته ساعة واحدة، فتلقى منه سبع مئة وثلاثين درساً، وقرأ القرآن بإمعان، ووجده هو الكتاب الوحيد، الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرف ولا ينقص، أما التوراة، والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع علم عصري أن يصدقها.

هنا يبدو من المناسب أن أنقل على سبيل المثال ما ذكر الهلالي في المقال شيئا قليلا مما في التوراة من الكذب الواضح، الذي لايعتقده من يؤمن بالأنبياء ويصدقهم.

فمن ذلك "أن يعقوب – عليه السلام – سمع أن زوجة ابنه، قاعدة بجانب الطريق تزني بالأجرة، فبعث إليها فجيء بها فأمر برجمها بعدما اعترفت، فقالت له: مهلاً، وأخرجت ثوباً، وناولته إياه قائلة: لمن هذا الثوب؟ فقال: هذا ثوبي. فقالت له: أنت زنيت بي، وأعطيتني هذا الثوب أجرة، فارجم نفسك أولاً، ثم ارجمني."[1]

[1] منقبة للملك فيصل، للشيخ الهلالي ص: 2

الكذبة الثانية: "أن لوطاً – عليه السلام – كان يسكن في جبل في فلسطين، وكانت له ابنتان بالغتان، ولم يكن له ولد ذكر، فقالت الكبرى للصغرى نحن نسكن في هذا الجبل وحدنا، وقد بدأ والدنا يتقدم في السن، فلو مات لم نستطع أن نبقى وحدنا هنا، فتعالي نسقى والدنا خمراً في ليلة، فإذا سكر أنام معه أنا، وبعد عدة ليال إذا حملت أنا، نسقيه خمراً أخرى فتنامين أنت؛ لعل الله يرزقنا ولدين ذكرين ، يقومان بحمايتنا، فسقتاه خمراً فسكِر، فنامت معه الصغرى، فحملت وولدت كل واحدة منهما ولدا ذكرا، فكان كل واحد من الولدين حبرا لقبيلة من قبائل بني إسرائيل".[1]

ويقول الشيخ الهلالي عن كتابة هذا المقال:" والمراد بكتابة هذا المقال تنبيه القراء إلى ما خص الله به الملك فيصل – رحمه الله – من الذكاء الذي كان سبباً في انقلاب الدكتور موريس بوكاي من عدو لدود للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ولدينه الحق اليقين إلى صديق حميم يدافع عن النبي– صلى الله عليه وسلم – وعن القرآن، بكل ما عنده من القوة، وقد أخبرني في ذلك المجلس أن كتابه المذكور ترجم باثنتي عشرة لغةً، منها العربية والإنجليزية، وقد حضر مؤتمرات كثيرةً في جميع أنحاء العالم، وألقى أحاديث طويلة في إقامة الحجة على صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن القرآن من الله – تعالى – ليس فيه زيادة ولا نقصان"[2].

[1] نفس المصدر ص:3
[2] منقبة للملك فيصل، للشيخ الهلالي ص:3

5-التعصب للجنس أو الدين:

يفتتح الشيخ الهلالي مقاله بتشريح التعصب لغة، سأقوم بذكر ذلك في السطور الآتية:

قال في اللسان: التعصب من العصبية. والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا فإذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا. والعصبي من يعين قومه على الظلم. والعصبي، هو الذي يغضب لعصبيته، ويحامي عنهم. والعصبة: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم، أي يحيطون به، ويشتد بهم. وفي الحديث: "ليس منا من دعا إلى عصبية، أو قاتل عصبية".[1]

وهكذا قدم الهلالي في هذا الصدد آية من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم))[2]. يقول الله تعالى مخاطبا عباده كلهم {إنا خلقناكم من ذكر وأنثى} يعني آدم وحواء {وجعلناكم شعوبا} كل شعب يجمع قبائل عديدة كقريش مثلا، أو كالعرب. والقبيلة دون الشعب، ثم العشيرة، ثم الفصيلة، ثم الفخذ، ثم الأسرة. {لتعارفوا} أي ليعرف بعضكم بعضا، حتى ينال كل إنسان حقه في الميراث والعقل، وهو دفع دية قتل الخطأ، فان عصبة القاتل تؤدى الدية شرعا إلى غير ذلك من فوائد التعارف، كصلة الرحم، ونصر الأخ ظالما أو مظلوما كما جاء في الحديث

---

[1] التعصب للجنس أو الدين، للشيخ الهلالي ص: 2

[2] سورة الحجرات، الآية:13

الصحيح، فان كان مظلوما يدفع عنه الظلم أخوه، وذلك نصره، وإن كان ظالما يمنعه من الظلم فينصره على نفسه التي تريد أن تلقيه في المهالك حين سولت له الظلم. [1]

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم، قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله، قالوا: ليس عن هذه نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني قالوا: نعم، قال: فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

والإسلام لا يأذن لأي مسلم بأن يفتخر بمكارم الآباء والأجداد، وبأن يعتز بقبيلته وبشعبه، وهكذا لا يجوز لأي عربي أن يفضل نفسه على عجمي، وبالعكس، ولا يجوز هكذا لأي أبيض أن يفضل نفسه على أسود، وأسود على أبيض، فالكرم عندالله هناك مربوط بالتقوى فقط، والإسلام هو الدين الوحيد في العالم كله الذي يعطي مثل هذه التعاليم النيرة، ويعطي حقوق الناس على حد سواء.

6-حكم مصافحة المرأة المسلمة مع الرجال الأجانب:

إن المسلمين من السلف والخلف أجمعوا على أن لمس المرأة الأجنبية في أي موضع من جسمها حرام ومعصية لله، سأذكر هنا قصة عجيبة حصلت للشيخ الهلالي في ذلك في بلاد الهند، وهي تأتي في السطور الآتية:

كان له تلميذ وهو الشيخ عبد الباري الزواوي من أهل مسقط في عمان، وكان الشيخ الهلالي رئيسا لأساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء بالهند، فقال التلميذ له:

---

[1] التعصب للجنس أو الدين، للشيخ الهلالي ص: 2

إن أخي يسكن في مدينة كراتشي وهو من التجار الكبار، فأرجو منك إذا مررت بكراتشي أن تنزل عنده، ولا تنزل في أحد الفنادق وأعطاه عنوانه، فبحث عنه فوجده، ورآه محافظا على الصلاة في أوقاتها فسره ذلك، ثم ركبوا السيارة وسار بهم إلى بيته، وإذا هو قصر عظيم تحيط به حديقة، فجلس الهلالي في الحديقة على كرسي يقرأ في صحيفة، فشعر بشيء وقف أمامه، فرفع بصره فإذا الرجل تقف إلى جنبه امرأة مكشوفة الصدر والعنق والرأس والذراعين والساقين، فمدت إليه يدها للمصافحة، فلفف الشيخ الهلالي طرف طيلسانه على يده، ومدد يده إليها، وقبضت يدها وغضبت وانصرفت، فقال له بعلها: كيف تهين زوجتي؟

فقال الشيخ الهلالي: إن كانت هناك إهانة فأنت الذي أهانها. فقال له: لماذا امتنعت من مصافحتها هل في يدها جرب، فقال له: لا تغالط. إن جسم المرأة كله يحرم لمسه على الأجنبي لمسه، فأخذ يجادله حتى انقطع.

وهنا يبدو من المناسب أن أذكر الدليل على ما أفتى به الهلالي كي تتجلى لنا صورة المسئلة بوضوح.

نقل الهلالي في ذلك قول الحافظ ابن كثير، وهو كما يلي:

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره في آخر سورة الممتحنة عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} الآية ما نصه: روى البخاري، عن عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من

المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد بايعتك" كلاما، ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط، ما يبايعهن إلا بقوله: "قد بايعتك على ذلك" هذا لفظ البخاري. وروى الإمام أحمد، عن أمية بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: "أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ" الآية، وقال: "فيما استطعتن وأطقتن"، قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: "إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمأة امرأة".

وعن سلمى بنت قيس– وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقد صلت معه إلى القبلتين، قالت: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: "ولا تغششن أزواجكن" قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غش أزواجنا؟ قالت، فسألته فقال: "تأخذ ماله فتحابي به غيره".

7–حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم:

ناقش الهلالي في هذا المقال حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، كما هو يبتدأ مقاله بآية من القرآن الكريم:

((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ)) [الشعراء:214]. روى البخاري رحمه الله أن

النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية دعا أقاربه فاطمة بنته وصفية عمته وعباس عمه وسائر بني هاشم، ثم قال: "يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت وأنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنقذي نفسك من النار لا أغني عنك من النار شيئا، يا بني هاشم لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها فتقولون يا محمد، فأقول لا قد بلغت". وقال الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}. وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أكرم الناس فقال: أتقاهم لله عز وجل، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال: أكرم الناس نبي الله يعقوب بن إسحاق نبي الله بن إبراهيم خليل الله، فقالوا ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليّ الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها.

وليس هناك فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، كما قال الله –تعالى– "إن أكرمكم عندالله أتقاكم"[1]

وروى البخاري في باب ما ينهى من دعوى الجاهلية من صحيحه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية". وروى في الباب نفسه عن جابر قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا

[1] الحجرات: الآية:13

للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية"، ثم قال: "ما شأنهم؟ "، فأُخبر بكسعة المهاجري للأنصاري قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها خبيثة".

8-تعليم الإناث وتربيتهن:

ناقش الهلالي في هذا المقال تعليم الإناث وتربيتهن، وبين في هذه المسئلة ثلاثة مذاهب وفقا لهذه الأيام، فهذا من المناسب أن أذكر تلك المذاهب الثلاثة التي تناولها الشيخ، كي تتضح لنا هذه المسئلة.

المذهب الأول: عدم تعليمهن أكثر من قراءة المصحف بدون فهم.

المذهب الثاني: تعليمهن وتربيتهن على منهاج دعاة التفرنج.

المذهب الثالث: متوسط بين المذهبين

فالمذهب الأول يقول أصحابه: إنه هو أحسن المذاهب وأولاها بالصواب، وهو الذي وجدوا عليه آباءه، وهم كانوا أحسن منهم، ويظنون أن تعليم النساء يفسد أخلاقهن، فإن المرأة التي لا تقرأ ولا تكتب تكون بعيدة عن متناول شياطين الإنس،

وفي الحديث: "لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور" [المستدرك على الصحيحين، أفق:3424]

فهذه هي التربية الصحيحة، فتعليم الكتابة ذريعة إلى المكاتبة مع الفجار, وإسكانهن الغرف ذريعة إلى التخاطب ولو بالإشارة مع الفساق, وتعليمهن المغزل فيه شغل نافع لهن بما فيه من رياضة البدن والفكر وبما يثمره الغزل من المال الذي

يستعن به على معاشهن، وتعليمهن سورة النور يحملهن على العفاف، لأن فيها حد الزنا والزجر عنه، وحد القذف، وتوبيخ فاعله.[1]

وأما أصحاب المذهب الثاني فهم لا يريدون أن يطيلوا القيل والقال في هذا المجال، ويضيعوا أوقاتهم في الجدال الفراغ، فهناك أمم راقية حرة سعيدة في حياتها. وهناك أمم أخرى منحطة مستعبدة شقية في حياتها، وقد نظروا فوجدوا أن سبب سعادة تلك وشقاء هذه هو العمل والمال، لذلك عزموا على الاقتداء بالأمم الراقية، ليكونوا مثلهم: يقتدون بهم في التعلم والتعليم والتربية والتفكير والزي والمعيشة ونظام الحكم وفي كل شيء. ومن ذلك تعليم المرأة وحرية المرأة ومساواتها للرجل في كل شيء ممكن بلا قيد ولا شرط.

وأما المذهب الثالث، فقد أخذ ما صفا منهما وودع ما كدر، وذلك أن تعلم المرأة تعليما يناسب ما خلقت له أولا وهو تدبير المنزل وملؤه سعادة ونظاما وجعله منبتا صالحا للبنين والبنات الأبرار. وثانيا لتكون عونا للرجل في جميع شؤونه المعاشية والحربية والخلقية.

قال أصحاب هذا المذهب: إن أهل المذهب الأول مفْرطون، وأصحاب المذهب الثاني مفرّطون.

أما حرية المرأة فليست مرتبطة بهتك النساء، وسقوط عفافهن، فقد توجد حرية النساء مع تمام العفاف، وقد توجد عبودية النساء مع غاية التهتك.

والحاصل أن تعلم الكتابة والقراءة لا يصير المرأة فاسدة ولا صالحة وحده، فإن كانت صالحة فإن تعلمها الكتابة والقراءة يزيدها صلاحا, وإن كانت تربيتها فاسدة

[1] تعليم الإناث وتربيتهن، للشيخ الهلالي ص: 3

فبتعلمها تزداد فسادا؛ لأن العلم بالقراءة والكتابة آلة صالحة للاستعمال في الخير والشر معا.

الفصل الثاني

إسهاماته في التأليف والترجمة

إن للشيخ الهلالي رحمه الله خدمات جليلة في مجال التأليف والترجمة، فقد ألف العديد من الكتب العلمية والدعوية والتربوية، وترجم العديد من الكتب الدينية إلى الإنكليزية، ويبلغ عدد مؤلفاته أكثر من سبع وثلاثين، وتشتمل كتبه على موضوعات مختلفة من شرعية، وأدبية واجتماعية ولغوية، سنلقي الضوء على بعض أهم مؤلفاته في السطور التالية كي تتجلى لنا خدماته في هذا المجال.

ترجمة الكتب الدينية إلى اللغة الإنجليزية:

من أهم ما ترجمه من الكتب الدينية إلى اللغة الإنجليزية وهي ما يلي:

شارك في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية مع الدكتور محسن خان. وهذه الترجمة(كما نبه الشيخ الهلالي) تمتاز عن غيرها بأمور منها:-

أولها: ترجمة معاني آيات الصفات، كقوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" بما يطابق عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين دون تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل.

ثانيها: إصلاح ما ارتكبته الترجمات السابقات من الأخطاء الفاحشة وسببها في الغالب قصور المترجم، وعدم تمكنه من معرفة المعنى التي تدل عليه الآية، لضعف إدراكه للغة العربية.

ثالثها: إيضاح ما أبهمه المترجمون السابقون في ترجماتهم من معاني الآيات وذلك بترك القارئ الإنكليزي متحيرا في المعنى المقصود من اللفظ ولا يكاد يعرفه على الحقيقة، فبدأنا مستعينين بالله تعالى على هذا الأمر العظيم.[1]

وهكذا شارك في تصحيح أخطاء ترجمة البخاري إلى الإنجليزية في تسعة أجزاء.

1- سبيل الرشاد في هدى خير العباد:

هذا الكتاب يشتمل على (1730) صفحة، وهو عبارة عن إفراد للآيات المشتملة على التوحيد من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس، ويقع في ثلاثة مجلدات ضخمة فيها ستة أجزاء، فالأول يشتمل على (686) صفحة في توحيد الربوبية والعبادة، والمجلد الثاني يشتمل على (491) صفحة في توحيد الاتباع(اتباع الكتاب والسنة)، والمجلد الثالث يشتمل على (551) صفحة في توحيد الأسماء والصفات، وهو جهد عظيم مبارك، صدرت له الطبعة الأولى من الدار الأثرية بعمان – الأردن سنة 1427هـ 2006م.

شرح الشيخ الهلالي في هذا الكتاب النافع أنواع التوحيد شرحا ضافيا مع التنبيه على أنواع التحريف والابتداع التي أصابت العقيدة من جراء الإعراض عن الاهتداء بالقرآن، وتبني أسلوب الكلام والفلسفة في معرفة العقيدة، وأشار إلى عناية الشيخ عبد العزيز بن باز بالمؤلف وكتابه وسهره على طباعة الكتاب وتوزيعه، ثم تليها ترجمة جيدة للمؤلف يحسن الاطلاع عليها، لتضمنها معلومات عنه لا توجد في

[1] ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية ص:x

غيرها، منها قائمة بمؤلفاته. ثم مقدمة المؤلف لكتابه التي بيّن فيها منهجه في جمعه، وأنه كان يخطر بباله منذ مدة أن يجمع كتاباً لنفسه ولمن شاء الله بعده، يشرح فيه أنواع التوحيد الأربعة: توحيد الربوبية الذي رأى أن الآيات المتعلقة به في القرآن كثيرة جداً لو استوعبها مع ما يتعلق بها من الحديث والآثار لعظم حجم الكتاب جداً، ولذلك – إضافة إلى أنه معروف ومعتقد جميع الملل والنحل باستثناء الملاحدة المنكرين لوجود الله تعالى – لم يتناول آياته كلها بالكلام، وجعل بدله توحيد الإتباع وهو داخل في توحيد العبادة والألوهية، ثم توحيد الأسماء والصفات.

وقد درج الناس على جعل أقسام التوحيد ثلاثة، إلا أنه أفرد من قسم توحيد العبادة، توحيد الإتباع وجعله قسماً رابعاً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في هذا كله مستمد من القرآن الكريم يتتبع آياته المتعلقة بالأقسام المذكورة في المصحف الشريف كله ابتداء من الفاتحة إلى النهاية، ضمّاً النظير إلى نظيره دون مراعاة ترتيب السور، معتمداً في التفسير على ابن كثير مشيراً إليه بالكاف، وعلى جامع البيان لابن جرير مشيراً إليه بالجيم منتقياً من الحديث ما صح، مشيراً إلى ما اتفق عليه البخاري ومسلم بحرف القاف، وما انفرد به البخاري بحرف الخاء، وما انفرد به مسلم بحرف الميم، وما رواه أبو داود في السنن بحرف الدال، ما رواه الترمذي في جامعه بحرف التاء، وما رواه النَسائي في سننه بحرف النون، وما رواه أحمد في مسنده بحرف بالحاء والميم أو الألف المهموزة. وبعد هذه المقدمة شرع المؤلف في بيان الأقسام، مبتدئاً بتوحيد العبادة وتوحيد الربوبية. وفي أثناء ذلك يتحدث عن نفسه وما جرى له من مناظرات ووقائع تتعلق

بالموضوع، منبهاً على بدع ومخالفات خصوصاً ما ظهر منها على يد الصوفية ومريدهم.

ويقول الهلالي عن هذا الكتاب: "هذه نعمة عظيمة كنت أتمناها على الله تعالى منذ عشرات السنين"[1]

ويقول أيضا: "الغرض من تأليف هذا الكتاب إقامة البراهين على وجوب اتباع الكتاب والسنة وترك التفرق والتحزب بشكل مذاهب أو طرائق أو أحزاب".[2]

وأيضا يقول الهلالي:" أنا الآن أؤلف كتابا، سميته (سبيل الرشاد)؛ إن يسر الله إتمامه وطبعه، فسيغني كل مؤمن حنيف عن غيره من كتب الوعظ، فأدعو الله أن يعينني على إتمامه ونشره."[3]

وهذا الكتاب درة فريدة في المكتبة الإسلامية، إذ فيه عرض للمعتقد مرتبا على أنواعه حسب وروده في القرآن الكريم، وأقامه الشارح على القرآن أصالة، وذكر تحت الآيات الأحاديث تناسبها، والآثار التي تلائمها، ونصر فيه عقيدة السلف بلغة سهلة، وحجة قوية، ولم يتعرض إلا لشبه السيارة الموجودة في هذا العصر، وأكثر من النقل عن كتب أئمة السلف قديما وحديثا.[4]

---

[1] سبيل الرشاد، للهلالي ، ج:1/ ص:5
[2] نفس المصدر
[3] نفس المصدر
[4] نفس المصدر، ص:7

2-"الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق"

يشتمل هذا الكتاب على 57 صفحة، في هذا الكتاب قام الشيخ الهلالي بالرد على رسالة بعث إليه الفقيه السيد محمد بن إبراهيم إمام (أرفود)، وهي أرسلت إليه من بعض المهوسين، الفاتنين المفتونين.

تضمنت تلك الرسالة الكاذبة الخاطئة من الإفك والبهتان والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما [تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا][1] وبعث هذا المفتون إلى مسجد أكرمهم الله بإحياء السنة من مرقدها، وتجرأ هذا المهووس على الله تعالى ، فسمى السنن الصحيحة التي اتفق عليها الشيخان، وتواتر العمل بها من زمان النبي صلى الله عليه و سلم إلى يومنا هذا سماها منكرا، ولا غرابة في ذلك فقد روى ابن وضاح وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ((كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يهرم فيها الكبير، و ينشأ فيها الصغير تجرى على الناس، يحدثونها سنة، إذا غيرت قيل هذا منكر)) انتهى من كتاب الاعتصام للشاطبي (ج1 ص 54).

وقسم الشيخ هذا الرد إلى أربعة فصول :

الفصل الأول: في بيان إشراك صاحب الرسالة الإيمانية بعبادة غير الله.

الفصل الثاني: في تحريم الإفتاء والقضاء بالتقليد وبيان أن التمذهب بدعة.

الفصل الثالث: في بيان أن كل بدعة ضلالة.

الفصل الرابع: في مسائل فرعية جاءت في رسالة البوعصامي العامي.

---

1 مريم : 90 .

3-"أحكام الخلع في الإسلام"

هذا الكتاب يشتمل على 64 صفحة، طبع من المكتب الإسلامي، بيروت، يحتوي على مسائل حسن العشرة بين الزوجين، والنشوز، وبعث الحكمين، والخلع، مع براهينها من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

رأى الشيخ الناس في بلاده وغيرها قد أساءوا عشرة النساء، وقل منهم من لم يكن تعدى وأساء، وفسدت الحال فيما بينهم وبينهن في الحركات والسكنات، فعم بذلك الشقاق، وعدم الوفاق وصار كل من الزوجين وبالا على صاحبه، وامتلأت المحاكم الشرعية بالخصومات، وعجز عن حل لمشاكلهن القضاة. وما ذلك إلا لانحرافهم عن جادة الكتاب والسنة، فصاروا يخبطون خبط عشواء في دجنة، ولما كان الرجال أقوياء، والنساء ضعيفات، وقع الإحجاف في الأحكام، وطبقوا ما يعتقد فيهم أعداؤهم الأوربيون من غمط حقوق النساء واستعبادهن، فشوهوا بذلك محاسن الشريعة المطهرة الحنيفة، وتعدى الجنسان حدود الله، وانعدام الإخلاص بين البعول والأزواج، وعم الفريقين الشقاء واللجاج، فرأى الشيخ الهلالي من الواجب على أن يؤلف جزءا صغير الحجم، غزير العلم، ينصف المظلوم، ويرفع الحجاب عن الحق المهضوم، ويعرف الزوجين كليهما بما أوجب الله عليهما، ويهذب ما خشن من أخلاقهما، ويهيئ ما للعشرة الحسنة والمعيشة الهنيئة، فكل من قرأه وعمل بما فيه من آيات الكتاب الحكيم، وسنة النبي الكريم، تنفتح له أبواب السعادة، وينال إن شاء الله الحسنى وزيادة سواء أكان من الحكام، أو من العوام، وسماه (أحكام الخلع في الإسلام).[1]

[1] أحكام الخلع في الإسلام، للشيخ الهلالي، ص:4

4-"البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية"

يشتمل هذا الكتاب على أكثر من 48 صفحة، وقامت بطباعته مكتبة الهدي المحمدي بالقاهرة، سنة 1431هـ-2010م.

فقد كتب إلى الشيخ الهلالي تلميذه السيد منذر إسماعيل الدروبي البغدادي - الذي كان يدرس الهندسة في إحدى جامعات الولايات المتحدة منذ أربع سنين تقريبا - وأخبره أن النصارى تجمعوا عليه وأخذوا يجادلونه في الدين ويتطاولون عليه، فلم يدر ما يجيبهم به، فألف له هذا الجزء وسماه (البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الإلوهية).

ناقش دعواهم تلك من كتابهم، وبين كذبهم وتلبيسهم، فأوضح :

(1) إثبات عبودية عيسى عليه السلام من كتابهم الإنجيل مع ما حصل عليه من التحريف والتزييف.

(2) الأدلة البينة من الإنجيل أن عيسى عليه السلام من البشر.

(3) كشف أسطورة صلب المسيح وبيان وهنها وضعفها.

(4) تبشير الإنجيل - على ما فيه من تحريف - بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(5) بيان بعض حكاياته مع بعض متعصبي النصارى ورد شيء من شبههم.

(6) العتب على المسلمين لتقصيرهم في هذا الجانب.

هذا الكتاب لطيف في الحجم، قيم في محتواه، ويفيد كل من يريد أن يعلم الحقيقة في تحريف النصارى في كتابهم السماوي، وكذبهم وتلبيسهم في الشريعة التي جاء بها النبي عيسى عليه الصلاة والسلام.

5-"الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية"

هذا الكتاب يشتمل على (180) صفحة، ودار الطباعة وسنة الطباعة غير مذكورة في هذا الكتاب، وهذا الكتاب فريد من نوعه في الرد على هذه الطائفة المنحرفة؛ وذلك لأن الشيخ كان تيجانيا في أول نشأته، ثم تبينت له طريقة الحق فسلكه، وكان يحذر من هذه الفرقة وضمن في هذا الكتاب كثيرا من مخازيهم، وكشف عوارهم، وفي السطور التالية آتي بذكر سبب تأليف هذا الكتاب كي تبدو أهميته:

لما رأى الشيخ الهلالي الشرك الأكبر، بله الأصغر، قد انتشر في البلاد الإسلامية والبدع عمت في جميع الأقطار، وقل علماء الكتاب والسنة الناصحون للأمة، وانتشرت طرائق المتصوفة المبتدعين في الخاصة والعامة، ومنها الطريقة التيجانية التي يعد متبعوها بعشرات الملايين في البلاد الإسلامية، وكان عالما بعجرها وبجرها فأطلع على بعض ما فيها من الضلالات صاحب الفضيلة العالم الورع الداعي إلى الله على بصيرة محي السنة ومميت البدعة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ابن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فتعجب من ذلك غاية التعجب، وحثه على تأليف جزءا في بيان حقيقة هذه الطريقة وما فيها من الأباطيل، ليحذرها من لم يقع في شباكها، ويتنبه لما فيها الذين لايزالون متورطين في مهاويها، عسى الله

أن ينقذهم ويردهم إلى المحجة البيضاء فامتثل أمره شاكرا وألف هذا الكتاب وسماه: "الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية".

6-" الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة "

هذا الكتاب يشتمل على 225 صفحة، وسنة الطباعة ودار الطباعة ليست مذكورة، وهو كتاب نفيس جدا، يدل على مقام هذا الرجل ومنزلته العظيمة فهو سجل حافل في حياته الدعوية، وجهاده أهل البدع، والشرك، وقد أتحفنا بذكر أناس شاركوه في هذه الدعوة المباركة، وأسلوبه سهل، وألفاظه جزلة، وفي السطور الآتية سأقوم بذكر سبب كتابة هذا الكتاب، كي يتضح لنا خلفية هذا الكتاب:

سأله خلق كثير من الإخوان في المشرق والمغرب، يخص بالذكر منهم الأخ الداعي إلى الله على بصيرة الدكتور وجيها زين العابدين أن يؤلف كتابا يشتمل على سيرته وما لقيه في حياته في الحل والترحال ، وما جرى عليه في رحلاته الكثيرة من حوادث وأخبار، وخاصة في الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة في المشرق والمغرب، وما صادفته في ذلك من نجاح وضده، وما جرى بينه وبين علماء تلك الأقطار من مباحثات وحوارات.

و لما رأى ذلك كله بالتفصيل. بل ذكر ما بقي في ذاكرته ولم يعفه النسيان . يحتاج إلى وقت طويل، ونفقات كثيرة، في طبعه ونشره، اقتصر على ما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى في أقطار مختلفة من سنة1340 إلى1391 للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، على أمل أن يجد وقتا وتوفيقا من الله تعالى لتأليف كتاب في أخبار الشطر الأخير الذي لا يتعلق بالدعوة كالحوادث

السياسية والشدائد والمحن التي وقعت له في أسفاره. و يجد القارئ في أثناء هذا الكتاب قصائد كثيرة هجا بها بعض المعارضين للدعوة إلى توحيد الله واتباع نبيه الكريم، وما أراد بذلك إلا الانتصار للحق ولم يسم أحدا. وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم لحسان بن ثابت:"أهجهم وروح القدس معك". [1]

يجد القاري أسلوب الهلالي سهلا متينا، وهكذا ألفاظه جزلة، ويخبره عن تجربته الذاتية، وهنا أرى من المناسب أن أذكر حادثة وقعت له أثناء رجوعه من مصر، وهي كما يلي:

" لم يسمح لي القانون المصري أن أخرج من مصر أكثر من عشرين جنيها فتركت ما عندي من الدراهم عند الدكتور الحبيب ثامر والسيد حسين التريكي وهما مجاهدان تونسيان وقع بيني وبينهما قصة في التعاون على محاربة الاستعمار ليس هذا محل ذكرها, على أن يبعثا لي تلك الدراهم حين تسنح لهما الفرصة, لكني عندما توجهت إلى مطار ألماظا أخذت معي خمسين جنيها فناولني المفتش صحيفة وقال لي: أكتب لي القدر الذي عندك من النقود فكتبت خمسين جنيها فقال لي: إن القانون لا يسمح لك إلا بعشرين فقلت له: قبل اثني عشر يوما دخلت مصر ومعي147جنيها ولم أنفق في هذه المدة إلا قليلا لأني كنت ضيفا عند أصدقائي وهم كثر فهل يعقل أني أنفقت في هذه المدة القصيرة 127ولم يبق لي إلا عشرون؟ فنظر إلى جواز السفر فوجد مدة الإقامة اثني عشر يوما كما ذكرت له فقال لي: تستطيع أن تثبت أنك دخلت مصر بالقدر المذكور من المال قلت: نعم هذه شهادة البنك في تطوان فلما قرأها سمح لي بإخراج خمسين جنيها.

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، للشيخ الهلالي ص: 5

فقلت له: إنني ألتزم الصدق وذلك يوقعني في مشاكل فقال لي: إن الصدق لا يوقع في المشاكل وإذا وقعت لصاحبه مشاكل فعقباها خير وإنما الذي أتعبنا هو الكذب . ووقع لي مثل ذلك في دمشق . فانحلت المشكلة بأن كتب المفتش نفسه على الصحيفة أن عندي عشرين جنيها. أبيت أن أكذب فكذب هو"[1].

7- "تقويم اللسانين"

هذا الكتاب هو مجموعة مقالات نشرها الشيخ الهلالي في مجلة دعوة الحق المغربية باسم –تقويم اللسانين–، وقد نشر العدد الأول منها في العدد 95 سنة 1967 ميلادي، ثم طبعت بشكل كتاب سنة 1404 هجرية في مكتبة المعارف بالرباط، ثم طبع الكتاب مؤخرا في دار الكتاب والسنة المصرية، وهذا الكتاب يشتمل على 56 صفحة، وفي السطور التالية سآتي بما ذكر في الكتاب عن المراد باللسانين:

"المراد باللسانين: اللسان والقلم، فإن العرب تقول: القلم أحد اللسانين، ولكن المقصود هنا إصلاح الأخطاء التي تفاقم أمرها في هذا الزمان حتى أصبحت مألوفة عند أكثر الخاصة بل العوام، فشوهت وجه اللسان العربي المبين، ورنّقت صفو زلاله المعين، مما يسوء كل طالب علم يحرص على حفظ لغة القرآن وصيانتها من الإفساد والتشويه، والعبارات الجافية التي تشين جمالها، وتذهب ببهائها"[2].

وعلماء اللغة مازالوا معتنين بهذا الموضوع، باذلين جهدهم في تنظيف الإنشاء العربي من الألفاظ الدخيلة، والتعابير الثقيلة، وقد ألف في ذلك الإمام أبو محمد

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، ص: 107

[2] تقويم اللسانين، للشيخ الهلالي ص:2

القاسم بن علي الحريري كتابا نفيسا سماه (درة الغواص في أوهام الخواص) وهو مطبوع متداول. وألف الشيخ الخفاجي كتاب (شفاء العليل في العامي والمولد الدخيل) .

قد بدا للشيخ الهلالي أن يكتب مقالات في هذا الموضوع أداء لواجب لغة الضاد، وصونا لجمالها من الفساد، فتلقى تلامذته في الشرق والمغرب وفي أوربا بشوق وارتياح ما كتبه ، وكذلك رفاقه الكتاب المحافظون استحسنوا ذلك، وأما الكتاب الذين يكرهون التحقيق ويرخون العنان لأقلامهم بدون تبصر ولا تمييز بين غث وسمين، وكدر ومعين، فهم استثقلوا هذا الانتقاذ، وعدوه تكلفا وتنطعا، وتقييدا للحرية.[1]

وهنا يبدو من المناسب أن يذكر شيئ مما جاء به من الفروق اللطيفة بين الألفاظ واستعمالها الصحيح، وفي السطور التالية سآتي من الكتاب بمثال:

الفترة:

"شاع استعمال الفترة في هذا الزمان في وقت العمل فيقولون: فترة الصبح، وفترة الظهيرة، وفترة الماء، يريدون بذلك زمان العمل، قال البيضاوي في قوله تعالى في سورة المائدة (ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) أي قد جاءكم رسولنا حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي) (الآية:18)

قال ابن منظور في لسان العرب: والفترة: مابين كل نبيين وفي الصحاح: ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة.

وفي الحديث: فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

---

[1] تقويم اللسانين، للشيخ الهلالي ص: 2

ومن ذلك تعلم أن الفترة ليست وقت العمل، بل هي ما بين عملين، فالوقت الذي يكون فيه عمل هو الذي يجب أن يسمى فترة، وقد عكسه عامة الكتاب والمذيعين، ومن سوء الحظ أن أكثر الناس في هذا الزمان لا يتعلمون الإنشاء في مدارس اللغة العربية، وإنما يتلقونه من الإذاعات والصحف، فكل خطأ يشيع في هذين المصدرين تنطلق به الألسنة والأقلام بدون تفكير ولا تمييز، وربما استعمله بعض كبار الأساتذة الذين يرجى منهم المحافظة على صحة الاستعمال وجمال اللغة العربية وتنقيتها من المولد والدخيل الذي لاحاجة إليه."[1]

بينما:

كثير من الناس يخطئون في استعمال كلمة "بينما"،" وقداعتدى عامة كتاب العصر على هذه الكلمة، فشوهوا جمالها، وسلخوها من معناها الحقيقي وألبسوها معنى مكذوبا، فأنهم يستعملونها في معنى (على حين) كقوله بعضهم: كما أن هذه المحاولات قد اتخذت أشكالا مختلفة، بعضها اقتصادي صرف وبعضها سياسي صرف(بينما) البعض الآخر اتخذ الشعارين معا.

فهذا الاستعمال فاسد مختلق لا أصل له في كلام العرب، وهو أيضا من جنايات جهلة المترجمين، فإنهم ترجموا كلمة (While) الإنكليزية فوضعوا مكانها (بينما) فظلموهما جميعا، والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة (على حين أو في حين).

أما الاستعمال الصحيح العربي لـ(بينما) فإنها تكون في صدر الكلام ولا بد لها من جملتين كأدوات الشرط، فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن عمر بن

[1] تقويم اللسانين، للشيخ الهلالي ص:4

الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر– الحديث. وكقول الشاعر:

وبينما المرء في الأحياء مغتبط

إذهو في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه

وذو قرابته في الحي مسرور

وشواهده في كلام العرب لاتعد ولاتحصى"[1].

8–"حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها"

هذا الكتاب يشتمل على 40 صفحة، وسنة الطباعة 1402هـ، 1982م، ودار الطباعة غير مذكورة، وفي هذا الكتاب فصلان:

الفصل الأول: في أدلة كفر تارك الصلاة، نقله من الكتاب العزيز

الفصل الثاني: في دلائل السنة على كفر تارك الصلاة

سبب تأليف هذا الكتاب: سأله جماعة من الإخوان الموحدين لرب العالمين، المتمسكين بسنة النبي الأمين، عن حكم تارك الصلاة عمدا، أهو كافر أم هو من عصاة المسلمين، وما هو عقابه في شريعة رب العالمين؟ فرأى من الواجب ان يجيبهم بما يروي الغليل، ويشفي العليل.[2]

---

[1] تقويم اللسانين، للشيخ الهلالي ص:5

[2] حكم تارك الصلاة، للشيخ الهلالي ص: 3

هنا نريد أن نذكر دليلين من تلك الأدلة التي تناولها الشيخ الهلالي من الكتاب والسنة في كتابه هذا، ففي السطور الآتية يجد القاري دليلا من القرآن الكريم، وآخر من الحديث النبوي الشريف في حكم تارك الصلاة عمدا:

الدليل الأول: قال تعالى: ((أفنجعل المسلمين كالمجرمين، مالكم كيف تحكمون، أم لكم كتاب فيه تدرسون، إن لكم في لما تخيرون، أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة، إن لكم لما تحكمون، سلهم أيهم بذلك زعيم، أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين، يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم ترهقم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون))[1]

"فوجه الدلالة من الآية أنه سبحانه أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه، ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين فقال:" يوم يكشف عن ساق" وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى فيحال بينهم وبينه فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا، وهذا يدل على أنهم مع الكفار والمنافقين الذين تبقى ظهورهم إذا سجد المسلمون كميامن البقر ولو كانوا من المسلمين لأذن لهم ربهم بالسجود كما أذن للمسلمين"[2].

والدليل الأول من الأحاديث النبوية:

---

[1] سورة القلم، الآية:35-43

[2] حكم تارك الصلاة، للشيخ الهلالي ص:3

ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) رواه أهل السنن وصححه الترمذي.[1]

قال ابن القيم في كتاب الصلاة، وأما إجماع الصحابة فقال ابن زنجويه بسنده المتصل عن ابن عباس، أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد قال: احتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته، قال فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس، قال : فلما أدخلنا عمر بيته غشي عليه من الموت فلم يزل في غشيته حتى أسفر ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قال فقلنا نعم، فقال، لا إسلام لمن ترك الصلاة.[2]

9-"مختصر هدى الخليل في العقائد وعبادة الجليل"

هذا الكتاب يشتمل على 93 صفحة، وسنة الطباعة ودار الطباعة غير مذكورة، وأسلوب هذا الكتاب سهل جدا، ويتمتع القارئ بقراءة هذا الكتاب، ويستفيد من هذا الكتاب، وفي السطور التالية سأذكر سبب تأليف هذا الكتاب وموضوعه:

توجه الشيخ الهلالي إلى تأليف هذا الكتاب، بعد أن سأله جماعة، شرح الله صدورهم لاتباع نبيه الكريم في العقائد والعبادات، وسائر الأحكام والآداب، أن يجمع لهم كتابا مختصرا سهل العبارة في العقائد والعبادات على مذهب الرسول والسلف الصالح؛ ليتمكنوا من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، بدون حاجة إلى الخوض في بحور كتب الحديث المطولة، فاستعان بالله تعالى، وأجاب طلبهم، ونقل لهم في

---

[1] نفس المصدر: 12

[2] حكم تارك الصلاة، للشيخ الهلالي ص:16

العقائد ما أجمع عليه أهل السنة، من كلام أئمة السنة، ولم يجعل فيه شيئا من كلامه، واختصر أحاديث العبادة، فأثبت ما أمكن إثباته بلفظه، وكل ما في هذا الكتاب ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس فيه رأي لغير المعصوم البتة، فمن أخذ به فكأنه يأخذ الحكم من المصطفى صلاة الله وسلامه عليه.

الخاتمة

هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى ، خالق الكونين، هو أنه يخلق لحفظ وحماية دينه الرجال الذين يحمون حماية التوحيد، حينا بعد حين في كل زمان ومكان وفي كل عصر ومصر، وينصرون الكتاب والسنة، ويدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم ضال تافه هدوه.

ومن أهل العلم الذين قضوا أعمارهم في مجال التعليم والتعلم، وجالوا الأقطار لذلك، فنشروا العلم بكل وسيلة، وقاموا بالتأليفات والمقالات والدعوة والإرشاد، وساهموا في تطوير الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها وإثراء المكتبات العربية والإسلامية بإنتاجاتهم القيمة، هو الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي المغربي (1311هـ/1893م-1407هـ/1987م) الذي أتى بتأليفات جمة في الدراسات العربية والإسلامية، وأثرى بها إلى المكتبات الإسلامية والعربية ما كانت خالية عنها من الكتب النادرة في التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة واللغة العربية وآدابها وغيرها من الكتب التي كانت لها فوائد جمة، كما قام بتأليف كتاب "سبيل الرشاد في هدى خير العباد"، يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة، وكتاب "الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق" في هذا الكتاب قام الشيخ الهلالي بالرد على رسالة بعثها إليه الفقيه السيد محمد بن إبراهيم إمام (أرفود)، وهي أرسلت إليه من بعض المهوسين الفاتنين المفتونين، وهكذا قام بتأليف كتاب "أحكام الخلع في الإسلام" يحتوي على مسائل حسن العشرة بين الزوجين، والنشوز، وبعث الحكمين، والخلع، مع براهينها من الكتاب

والسنة وأقوال الأئمة، وكتاب "الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة" وهو كتاب نفيس جدا، يدل على مقام هذا الرجل ومنزلته العظيمة فهو سجل حافل لحياته الدعوية، وجهاده ضد أهل البدع، والشرك، وأسلوبه سهل، وألفاظه جزلة، وهكذا له ديوان شعر "منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار تقي الدين الهلالي" في مجلدين. كما قام بكتابة مقالات كثيرة على موضوعات شتى، مثل "التقدم والرجعية" هذه المقالة قيمة لطيفة، يتمتع بها القارئ بكونها جيدة من نوعها، وفريدة في صنفها، ومثل "حكم مصافحة المرأة المسلمة مع الرجال الأجانب" و"تعليم الإناث وتربيتهن" و"منقبة للملك فيصل–رحمه الله–"، وهكذا له محاضرات وندوات ودروس وأحاديث لا يمكن الإحاطة بها في هذه العجالة، لأنها في موضوعات عدة، وبلدان متفرقة، وفترات مختلفة. وكانت له آثار في كل مكان زاره أو أقام فيه، وله من الطلاب والمحبين آلاف مؤلفة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغيره، ولقد تزوج حين كان في ألمانيا بمسلمة وله منها ولد، كما تزوج في المغرب من مغربية وله منها أولاد، كما تزوج بالمدينة المنورة وله منها بنت، بالإضافة لزوجته الأولى عائشة أم شكيب بنت العلاّمة الشيخ الشنقيطي، التي لها منه ولد هو شكيب وبنت هي خولة، وقد تزوجها في الزبير.

وكان للشيخ شغف كثير بالتدريس الذي له يد طولى في إتمام هدفه، وهو نشر العلم والعرفان، وإبراز عبقريته في البيان، وكما قام بالتدريس في المسجد الحرام، وإشرافه على حلقات التدريس في المسجد النبوي، مع الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة –رحمه الله– بتفويض من الملك عبد العزيز –رحمه الله– وقد كانت صلته قوية بالملك فهو الذي استقدمه للدعوة إلى الله ومحاربة الشرك.

وهكذا فاز بمنصب التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما قال عن نفسه –رحمه الله–: "ولما أراد الله بفضله ورحمته أن يردني إليها –أي المدينة– ألهم صاحب السماحة العالم السلفي ناصر السنة وقامع البدعة الورع الزاهد الأواب الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية أن يدعوني إلى التدريس في الجامعة الإسلامية وعندما لقيته بمنى سنة 1388هـ، قال لي إن الجامعة الإسلامية في حاجة إليك فقلت له وأنا في حاجة إليها أيضا"[1]

وله خدمات جليلة في الهند أيضا في مجال التدريس، فقضى ثلاث سنوات في دار العلوم لندوة العلماء في مدينة لكناؤ من ولاية أوتاربراديش بالهند، واحتل منصب رئيس أساتذة الأدب العربي، وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه مسعود عالم الندوي مجلة "الضياء"، وهكذا خلف تلاميذ خلدوا إسمه، واعتزوا بانتسابهم إليه، وافتخروا به في المحافل وهم الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي، والشيخ مسعود عالم الندوي، والأستاذ ناظم الندوي، فكفاه فخرا بذلك، وبالجملة كان التدريس شبه هواية للدكتور تقي الدين الهلالي، فارتوى عدد كبير من طلبة العلم من ينبوع علمه في جامعات أوربية، وعربية، وهندية.

هكذا قضى الشيخ العلامة الدكتور محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي الحسنيّ حياته، حتى تُوفي في الدار البيضاء بالمغرب، يوم الثلاثاء الموافق 27 شوال، عام 1407هـ فرحمه الله، رحمةً واسعةً وضاعف له الحسنات، (إنا لله وإنا إليه راجعون).

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، للشيخ الهلالي ص:214

المصادر والمراجع

1- المصادر الأولية:

1- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى ،: سبيل الرشاد في هدى خير العباد ، (الدارالأثرية عمان ، الأردن)، (الطبعة الأولى، (1427هـ، 2006م).

2- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى ، :الهدية الهادية إلى الطا ئفة التيجانية، المكتب الإسلامي ،بيروت (سنة الطباعة غير مذكورة).

3- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى، :كتاب الدعوة إلى الله فى أقطار مختلفة ، (الدار الأثرية عمان، الأردن) (سنة الطباعة غير مذكورة).

4- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى ، :تقويم اللسانين (مكتبة المعارف ، الرباط) (سنة الطباعة غير مذكورة).

5- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له فى الألوهية، الهلالى.نت، 1431هـ.

6- الهلالي، الدكتور تقي الدين االهلالى،: منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار تقي الدين الهلالي، دار الجيل للنشر والتوزيع، (الأحباس الدار البيضاء)، سنة الطبعة الأولى، (1431هـ، 2010م).

7- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: السراج المنير المكتب الإسلامي ،بيروت 1979 (سنة الطباعة غير مذكورة).

8- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: مختصر هدى الخيل فى العقائد و عبادة الجليل ، المكتب الإسلامي، بيروت 1397هـ.

9- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الحسام الما حق لكل مشرك ومنافق، الهلالى.نت 2005/21/12م.

10- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الثقافة التى نحتاج إليها، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار 1429/02/01هـ.

11- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: أحكام الخلع في الإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت (1391هـ).

12- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: الإسلام يكافح الاستعمار، الهلالي.نت، سنة الطباعة غير مذكورة.

13- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم، الهلالي.نت، سنة الطباعة غير مذكورة.

14- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: حكم تارك الصلاة، الهلالي.نت، سنة الطباعة غير مذكورة.

15- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: التقدم والرجعية (مقال)، الهلالى.نت 1431/06/28هـ .

16- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: دليل الحاج الحنيف، دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء)، سنة الطباعة، 1369هـ.

17- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز،: تحفة الإخوان بتراجم بعض الأ عيان، ص: 69-71 دار صالة الحاضر ، الرياض 1429هـ.

18- الهلالى، الدكتورتقي الدين االهلالى،: الدين والسنن الكونية(مقال)، الهلالى.نت تاريخ الإصدار 1429/02/21هـ.

19- الهلالي، الدكتورتقي الدين االهلالى،: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب (مقال)، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

20- الهلالى، الدكتورتقي الدين االهلالى،: ما بال الفرنسيين في المغرب (مقال)، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

21- الهلالى، الدكتورتقي الدين االهلالى،: مصر للمصريين ولو كان بيد البريطانيين، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

22- الهلالى، الدكتورتقي الدين االهلالى،: منقبة للملك فيصل -رحمه الله-،(مقال) الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1431/06/28هـ.

23- الهلالى، الدكتورتقي الدين االهلالى،: قصة الفتاة المغربية "نزهة كويز" مع الشيخ الهلالي، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

24- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: حديث مع زائر كريم (مقال)، الهلالى. نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/02هـ

25- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الأدب الأ ندلسي (مقال) الهلا لى.نت.

26- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الفكر الصوفي (مقال)، الهلا لى.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

27- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: أيها العرب لا تتخذوا الفرقة وسيلة إلى الوحدة (مقال)، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار، 1429/07/01هـ.

28- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: قراءة القرآن جماعة بنغمة واحدة (مقال)، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

29- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الفكر الصوفي، (مقال)، الهلا لى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

30- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: هل توجد فرقة تسمى نفسها وهابية، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

31- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: أخلاق الشباب المسلم (مقال)، الهلا لى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

32- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: الإسلام والمذاهب الإشتراكية (مقال)، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

33- الهلالى، الدكتور تقي الدين االهلالى،: حكم مصافحة المرأة المسلمة (مقال)، الهلالى.نت، تاريخ الإصدار،1429/02/01هـ.

34- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: التعصب للجنس أو الدين (مقال)، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

35- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: هل من الصواب منع المرأة من الجلباب، (مقال) الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

36- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: هل اختصت الإمامية بفتح باب الاجتهاد، (مقال) الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

37- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: مقام القاضي عياض في محبة النبي واتباع ماجاء به (مقال)، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

38- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: الإسلام والمذاهب الإشتراكية (مقال)، الهلالي.نت، تاريخ الإصدار، 1429/02/01هـ.

39- الهلالي، الدكتور تقي الدين الهلالي،: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة الطباعة 1404هـ.

2- المصادر الثانوية:

1- القرآن الكريم.

2- الإمام البخاري، الجامع الصحيح.

3- المجذوب، محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الطباعة غير مذكورة.

4- الندوى، واضح رشيد الندوى،: أعلام الأدب العربى فى العصر الحديث، دارالرشيد لكناؤ الهند، 2009م.

3- المجلات والصحف والجرائد:

1- مجلة(دعوة الحق): بالمملكة المغربية، السنة الأولى العدد3،صفر 1377شتنبر1957م.

2- مجلة (دعوة الحق): بالمملكة المغربية، السنة الأولى العدد 4-5- ربيع الثاني 137هـ، نونبر 1957م.

3- مجلة(دعوة الحق): بالمملكة المغربية، السنة الرابعة العدد 1- جمادى الأولى 138هـ، أكتوبر 1960م.

4- مجلة الفتح المصرية: بمصر، السنة العاشرة 146-147-149، العدد 456 ص:19-19-21.

5- مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، عدد 6 ص11 - 22 ، شوال 1389 هـ

6- جريدة "الحرية" التي كانت تصدر في تطوان، بتاريخ14 شعبان 1361هـ / 27 أغسطس.

7- مجلة الوعي الإسلامي الكويتية: السنة الرابعة، العدد 39 ص 47 إلى 51 ،) ربيع الأول 1388 هـ، الموافق مايو 1968 م.

8- مجلة الوعي الإسلامي الكويتية: السنة السابعة، العدد 80 ص 51 إلى 57، (شعبان 1391هـ، 21 سبتمبر 1971م).

4- المواقع الإلكترونية:

1- www.alhilali.net

2- http://ar.islamway.net/scholar/2575/new

3- http://www.alukah.net/culture/0/5500/

4- http://subulsalam.com/play.php?catsmktba=9804

5- http://www.alwaei.com/site/index.php?cID=638

6- http://subulsalam.com/play.php?catsmktba=9804

فهرس الموضوعات

المقدمة:.....1

الباب الأول: فضيلة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي؛ حياته العلمية والعملية....5

الفصل الأول: حياة الشيخ وأسرته وصفاته وأخلاقه 6

الفصل الثاني: اكتساب العلوم والفنون.....27

الفصل الثالث: اشتغاله بالتعليم والتربية 35

الباب الثاني: الأعمال الشعرية للشيخ الهلالي.....42

الفصل الأول: شعر الشيخ الهلالي وموضوعاته.....43

الفصل الثاني: خصائص شعر الشيخ الهلالي ومميزاته.....58

الباب الثالث: إسهامات الشيخ الهلالي في الدراسات العربية والإسلامية.....66

الفصل الأول: إسهاماته في كتابة المقالات الأدبية والدينية.....67

الفصل الثاني: إسهاماته في التأليف والترجمة.....88

الخاتمة: 105

المصادر والمراجع:.....108

فهرس الموضوعات: 115

******